

جامعة كاليفورنيا

لوس أنجلوس

كتابة الرسائل وقراءة ضد التيار في ماضي الأنثروبولوجيا: رسائل ديفيد مونتغمري هارت نموذجاً



أطروحة مقدمة لاستيفاء جزئي لمتطلبات الحصول على درجة ماجستير الآداب في الأنثروبولوجيا

جيسي سيرين ستولمان

2020

جامعة كاليفورنيا

لوس أنجلوس

كتابة الرسائل وقراءة ضد التيار في ماضي الأنثروبولوجيا: ديفيد مونتغمري هارت نموذجاً

أطروحة مقدمة لاستيفاء جزئي لمتطلبات الحصول على درجة ماجستير الآداب في الأنثروبولوجيا

جيسي سيرين ستولمان[1]

2020

العنوان الأصلي

Writing Letters and Reading against the Grain of Anthropology's Past

By

Jessie Serene Stoolman

Trans: NBE

[1] أستاذة بأكاديمية الديانة اليهودية، كاليفورنيا، وطالبة دراسات عليا في جامعة كاليفورنيا في قسم الأنثروبولوجيا. يركز مشروعها على التشابكات التاريخية بين المجتمعات اليهودية والسوداء في المغرب منذ أوائل العصر الحديث وحتى يومنا هذا.

ملخص الأطروحة

كتابة الرسائل وقراءة ضد التيار في ماضي الأنثروبولوجيا: ديفيد مونتغمري هارت نموذجاً

جيسي سيرين ستولمان

ماجستير الآداب في الأنثروبولوجيا جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس، 2020

الأستاذ المشرف: أومار بوم

كنافذة على ما يحدث عندما تقاس أشكال الكتابة الأنثروبولوجية المنشورة وغير المنشورة معًا، ستستعرض هذه الأطروحة المراسلات الشخصية لعالم أنثروبولوجيا أميركي في منتصف القرن العشرين، ديفيد مونتغمري هارت، الذي عُهد برسائله التي يزيد مجموع صفحاتها عن 10,000 صفحة إلى الأرشيف الوطني في المغرب مؤخرًا. وعلى وجه الخصوص، سأسلط الضوء على ما تعكسه النقاشات التي دارت في رسائله حول المنطق القائم على العرق في البحث الأكاديمي في ذلك الوقت، والتعاون بين علماء الأنثروبولوجيا والمسؤولين الاستعماريين، وكذلك المخاطر التي يمكن أن يواجهها المتعاونون الميدانيون من السكان المحليين نتيجة عملهم. سأشير خلال أطروحتي إلى الكيفية التي شكّلت بها مفاهيم العرق، ولا سيما مفاهيم العرق الأبيض كما وردت في الكتابات الأورو-أمريكية منذ القرن التاسع عشر، في مجال الدراسات الأمازيغية، كما لاحظ ذلك باحثون آخرون. من خلال الجمع بين تحليل كتابات هارت المنشورة ومراسلاته الشخصية ومقابلاتي الخاصة مع زملائه، لدي هدفان: أولاً، تحديد العمليات التي ساهمت من خلالها البحوث الأنثروبولوجية في القرن العشرين في تحديد الاختلاف بين البياض والسواد في المنطقة؛ وثانياً، اقتراح أن تأخذ النقاشات الجارية حول دور التفكير الانعكاسي في الأنثروبولوجيا بعين الاعتبار أهمية الكتابة العامة والخاصة في هذا المجال.

الجزء الأول: المقدمة

أين تبدأ (وأين تنتهي) الكتابة الأنثروبولوجية؟ من الواضح أن الكتابة المنشورة، سواء كانت في شكل مقال أو بحث أو كتاب، لا تشكل سوى جزء من الكتابة الفعلية التي ينتجها الأنثروبولوجيون. فمنذ نشأة هذا التخصص، ربما كان أكثر أشكال الكتابة الخاصة به غزارةً هو في الواقع ذلك النوع غير المُبلور والقابل للتطويع بلا حدود من الملاحظات الميدانية، والتي يمكن أن تشمل، اعتمادًا على من تسأل، أي مزيج؛ من الرسائل والدفاتر اليومية والخرائط وأشجار الأنساب والرسومات والخطاطات والتدوين على سبيل المثال لا الحصر. ربما ليس من المستغرب، أنه في ذروة ازدهار المنهج الانعكاسي في الأنثروبولوجيا، بدأ بعض الباحثين، وتحديدًا أولئك الذين ساهموا في كتاب روجر سانجيك "الملاحظات الميدانية" (1990)، في البحث في أحد الأسئلة الأكثر إزعاجًا والمتعلقة بطريقة العمل المتبعة في هذا التخصص. كيف يمكننا كبح آليات السلطة غير المتكافئة في الكتابة الأكاديمية دون فحص ما يكتبه علماء الأنثروبولوجيا ثم يخفونه؟

كنافذة على ما يحدث عندما تقاس أشكال الكتابة المنشورة وغير المنشورة في الأنثروبولوجيا، ستستعرض هذه الأطروحة المراسلات الشخصية لعالم الأنثروبولوجيا الأميركي ديفيد مونتغمري هارت خلال منتصف القرن العشرين. عُرف هارت بكونه كاتب رسائل غزير الإنتاج، حيث كان يرسل في بعض الأحيان عدة رسائل في اليوم الواحد إلى متلقٍ واحد، وهو ما دفع إرنست جيلنر في كتاب "القبيلة والدولة: مقالات تكريماً لديفيد مونتغمري هارت (1991)، ليعلن أنه "طوّر وأتقن شكلاً أدبياً مميزاً، الرسالة الإثنوغرافية الطويلة." وقد اخترت رسائل هارت، بعد أن عرّفني أستاذي أومار بوم على هذا الأرشيف، لعدة أسباب. أولاً وقبل كل شيء، لأن مراسلاته، خاصة مع المؤرخ روس دن، ولكن أيضاً مع باحثين آخرين في منتصف القرن العشرين (مثل إدموند بورك الثالث وجاك فينييه زونز)، والتي يبلغ مجموع صفحاتها أكثر من 10,000، قد عُهد بها مؤخراً إلى الأرشيف الوطني المغربي، مما يمثل إحدى المجموعات القليلة المخصصة لأوراق باحث أمريكي متاحة للجميع وللباحثين المغاربة في وطنهم. كما تتناثر أوراق هارت الأخرى، بما في ذلك مجموعات واسعة من الصور الفوتوغرافية والكتب في جميع أنحاء المغرب، بما في ذلك مكتبة "ثيرا" التي أُنشئت مؤخرًا في بلدة آيث انصار، وهي بلدة ريفية على الحدود مع مستعمرة مليلية الإسبانية.

ثانيًا، يتمتع هارت بمسار فريد إلى حد ما. فبعد أن بدأ دراساته لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف كارلتون كون، والذي ربما اشتهر اليوم بانخراطه في مجال الدراسات العرقية، لم يعد هارت إلى الولايات المتحدة الأمريكية ولم يشغل منصباً أكاديمياً في هيئة التدريس. وعلى الرغم من ذلك، نشر على نطاق واسع باللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية، حيث أصدر تسعة كتب وأكثر من 30 مقالاً باسمه حتى نهاية حياته. ثالثاً، وهو دليل على حجم إنتاجه، حافظ هارت على علاقات عمل وثيقة مع باحثين من مختلف البلدان والتخصصات والقناعات الأيديولوجية. وقد تفسر شبكة زملائه الواسعة العدد الهائل من الاحتفاءات الدولية، في شكل كتاب أو غير ذلك، المكرسة لأعمال هارت، بما في ذلك مؤخرًا ترجمة مطولة وعالية الجودة باللغة العربية لكتابه الأساسي عن آيث ورياغر من قبل ناشطين وباحثين قريبين من الحراك الشعبي بالريف.

وأخيراً، يسهم بحث هارت في دوام التفكير داخل حقل الأنثروبولوجيا في التداخل التاريخي بين هذا الحقل العلمي والاستعمار. وكما قالت سوزان سليوموفيتش بإيجاز في تقديمها لكتاب "أنثروبولوجيا الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: نحو ألفية جديدة": "نحن نسعى جميعًا إلى إلقاء نظرة إلى الوراء سعياً لاستشراف المستقبل." فمن ناحية، تكشف مراسلاته عن الديناميات المعقدة لعلاقاته الوثيقة مع اثنين من مساعديه المحليين، وهما عمار أوزكواغ ويوسف حزماوي. وعليه، فإن هذه المقالة ستسير على خطى العديد من علماء الأنثروبولوجيا، بمن فيهم الباحثتان مارغريت م. بروشاك وأودرا سيمبسون، اللتان بدأتا تقييمهما لماضي الأنثروبولوجيا بدراسة العلاقات التي كثيرًا ما يكتنفها الغموض بين علماء الأنثروبولوجيا الأورو - أمريكيين الأوائل ومساعديهم المحليين. من ناحية أخرى، فإنّ إمكانية الوصول إلى الوثائق والمواد الإثنوغرافية بشكل عام المتاح لهارت بسبب علاقاته مع الضباط العسكريين، يسلط الضوء على الطرق الأكثر خفاءً التي كان (ولا يزال) علماء الأنثروبولوجيا يعملون من خلالها ضمن المنظومة العسكرية. وفي إشارة إلى مهنة كون كجاسوس في المغرب، تثيرسليوموفيتش " الحاجة الملحة بالنسبة للأنثروبولوجيا لمعالجة انزلاقاتها العسكرية ... الأنشطة التي بدت مقبولة خلال الحرب العالمية الثانية، والتي تعد [الآن] موضوع نقاش حاد مع استمرارها في مناطق الأزمات والحروب في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا." هذا الدافع، إذن، لإعادة النظر في موضوع البحث الأنثروبولوجي بالتنسيق مع الأجهزة العسكرية سيطبع مناقشة منهجيات البحث التي وظفها كل من هارت وكون في المنطقة.

في هذه الأطروحة، سأدرس إرث هارت إلى جانب تيارات أنثروبولوجيا شمال أفريقيا خلال انتقال المغرب من الحقبة الاستعمارية إلى الاستقلال. وسأسلط الضوء، على وجه الخصوص، على ما تعكسه النقاشات التي دارت في رسائله حول المنطق العرقي في البحث الأكاديمي في ذلك الوقت، والتعاون بين الأنثربولوجيين والمسؤولين الاستعماريين، وكذلك المخاطر التي يمكن أن يواجهها المساعدون المحليون نتيجة تعاونهم. سأشير في ورقتي البحثية إلى الكيفية التي طبعت مفاهيم العرق، ولا سيما مفاهيم البياض كما وردت في الكتابات الأورو-أميركية منذ القرن التاسع عشر وما بعده، مجال الدراسات الأمازيغية، كما لاحظ باحثون آخرون.[2]

باتريسيا ل. م. لورسين على سبيل المثال، شرحت بإسهاب كيف قامت شبكة من المسؤولين العسكريين والأطباء المقيمين في الجزائر إلى جانب علماء الاجتماع المقيمين في فرنسا بتطوير "أسطورة القبائل"، والتي من خلالها تم التمييز بين القبائل، وبشكل أوسع، الجماعات الأمازيغية و العرب على أساس عرقي.[3] وبالمثل، يتتبع عبد المجيد حنوم أسطورة كاهنة من خلال استحضارات مختلفة، ليجد أن "الميثولوجيا

[2] انظر "الجزء الأول: العرق والجنس والرق في الخطاب الإسلامي"، لا سيما الفصل الثاني "التفاعل بين الرق والتحيز العرقي واللوني"، القسم الفرعي "موقف الأمازيغ من السود في المغرب"، في شوقي الحامل، المغرب الأسود: تاريخ العبودية والعرق والإسلام (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 2013)؛ انظر الفصل الثاني "التواريخ الاستعمارية" والفصل الثالث "من التاريخ إلى الخيال" ضمن كتاب عبد المجيد حنوم، التواريخ الاستعمارية، ذكريات ما بعد الاستعمار: أسطورة كاهنة، بطلة من شمال أفريقيا (بورتسموث: هاينمان، 2001)؛ حسين إلحيان، إثنيات، صناعة المجتمعات، والتغيير الزراعي (لانهام: مطبعة جامعة أمريكا، 2004)؛ حسين إلحيان. "تفكك القصر: تغيير أنماط الاستقرار والإدارة البيئية في جنوب المغرب." Africa Today 48, no. 1 (2001): 20-48 "العرق والعلم" خاصة الفصل السادس "العلوم الاجتماعية والعسكريون" ؛ انظر الجزء الثاني "التأثير العسكري" والفصل السابع "المجمعات العلمية في فرنسا: أسطورة القبائل كبراديغم عرقي" ضمن باتريسيا م. إ. لورسين، الهويات الإمبريالية: القوالب النمطية والتحيز والعرق في الجزائر الخاضعة للاستعمار (لينكولن ولندن: مطبعة جامعة نبراسكا، [1995] 2014)؛ رمزي الرويغي، اختراع الأمازيغ، التاريخ والأيديولوجيا في المغرب الكبير: (فيلادلفيا: مطبعة جامعة بنسلفانيا، 2019)؛ وبول سيلفرشتاين.

[3] Lorcin, Imperial Identities, 144-5

الفرنسية" خلقت تمييزًا صارمًا بين المجتمعات الأمازيغية والعربية واليهودية، وحددت كل ما هو أمازيغي كنسخة "بدائية" من المجتمع الفرنسي.[4] ومؤخرا، يشرح رمزي الرويغي التطورات التاريخية التي أدت إلى الإشارة إلى السكان الأصليين المتنوعين في المغرب الكبير تحت تسمية واحدة هي " الأمازيغ" - وهي عملية يسميها "التمزيغ".[5]ومثل لورسين.[6] يبين الرويغي أن علماء القرن التاسع عشر اعتمدوا على علم اللغة والأنثروبولوجيا الطبيعية والثقافية وعلم الآثار - وليس التاريخ - لتعريف " الأمازيغ"، مما مكّن في الواقع من تصنيفهم عرقياً باستعمال المصطلحات التي كانت سائدة في تلك الفترة (أي أبيض، أسود، بدائي)[7]. من خلال الجمع بين تحليل منشورات هارت ومراسلاته الشخصية ومقابلاتي الخاصة مع زملائه، لدي هدفان: أولاً، تحديد العمليات التي ساهمت من خلالها البحوث الأنثروبولوجية في القرن العشرين في تحديد الاختلاف على خط اللونين الأبيض والأسود في المنطقة؛ وثانياً، اقتراح أن تأخذ المناقشات الجارية حول دور المنهج الانعكاسي في الأنثروبولوجيا بعين الاعتبار أهمية الكتابة الموجهة للعموم وكذلك تلك ذات الطابع الخاص في هذا المجال.

[4] Hannoum, Colonial Histories, 188.
[5] Rouighi, Inventing, 2.
[6] Lorcin, Imperial Identities, 123-4, 131, 136-7, 141-3.
[7] Rouighi, Inventing, 6.

الجزء الثاني: كتابة الرسائل والملاحظات الميدانية والأنثروبولوجيا

قبل أن أقترح خطاطة تقريبية للدور الذي لعبته الرسائل في هذا الاختصاص، أود أن اعرض بإيجاز علاقة كتابة الرسائل بالأدوات المنهجية للأنثروبولوجيا، بما في ذلك الأشكال الأخرى العديدة من الكتابة التي تعتبر أساسية في ممارستها. كما وصف غوبتا وفيرغسون في مؤلفهما الشهير عن " الميدان" في الأنثروبولوجيا، "المواقع الأنثروبولوجية: حدود وأرضية علم الميدان (1997)، فإن الكثير من الغموض يخيم تاريخيًا على ما يجعل عمل الأنثروبولوجيين مختلفًا عن عمل التخصصات ذات الصلة. فقد أشارا في مقدمتهما إلى أنه حتى في وقت كتابة هذا الكتاب، أي بعد مرور قرن تقريبًا على مأسسة هذا التخصص، لم يكن علماء الأنثروبولوجيا يتلقون عمليًا أي تدريب رسمي حول كيفية اختيار الموقع الميداني وكيفية القيام بالعمل الميداني.[8] لكن المفارقة هي أن الموقع الميداني والعمل الميداني تحديدًا هو بالضبط "منهجية محددة للكشف عن أو فهم... الاختلاف"، وهو ما تبني عليه الأنثروبولوجيا تمايزها عن التخصصات الأخرى.[9]

وعلى غرار الباحثين في مجال الانعكاسية[10] والموقعية[11] قبلهما، يسلط غوبتا وفيرغسون الضوء على الديناميات غير المتكافئة بين الباحثين والمتعاونين التي تكمن وراء كيفية عمل الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيين.[12] على سبيل المثال، يلاحظ غوبتا وفيرغسون أن اختيار الموقع الميداني له علاقة بالجغرافيا السياسية ووكالات التمويل التي تديرها الدولة أكثر بكثير من خلفية الباحث الخاصة و/أو ما يسمى بالأهمية العلمية.[13] يمكن القول بسهولة أن هذا الأمر ينطبق على هارت أيضًا، الذي على الرغم من حصوله على ثروة عائلية خاصة، إلا أنه تلقى تمويلًا من مؤسسات مثل مؤسسة فورد، والمتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، ومجلس أبحاث العلوم الاجتماعية، ومؤسسة وينر-غرين. خلال مقابلة أجريتها مع روس دن في صيف عام 2020، أشار مازحًا إلى نوع من الإمبريالية الأكاديمية الأمريكية في المغرب خلال منتصف القرن العشرين، عندما بدا أن جامعات أمريكية مختلفة كانت تطالب بحقها في مناطق من البلاد.[14]

علاوةً على ذلك، يستنطق غوبتا وفيرغسون الافتراضات التي تُثري تقييم الاختصاص لتجربة علماء الأنثروبولوجيا في الميدان. فعلى الرغم من أن العمل الميداني بوصفه المبدأ المركزي للمنهجية الأنثروبولوجية يمنح نظريًا الأفضلية لتجربة الباحثين في المناطق قيد الدراسة، إلا أنه في الواقع، يجد علماء

---

[8] Akhil Gupta and James Ferguson, “Discipline and Practice: ‘The Field’ as Site, Method, and Location in Anthropology,” in Anthropological Locations: Boundaries and Grounds of a Field Science, ed. by Akhil Gupta and James Ferguson (Berkeley: University of California Press, 1997),

[9] Gupta, and Ferguson, “Discipline,” 2.

[10] في النطاق الأوسع تشير الانعكاسية عادةً إلى قدرة الفرد على التعرف على قوى التنشئة الاجتماعية وتغيير مكانها في البنية الاجتماعية. يؤدي انخفاض مستوى الانعكاسية إلى نشوء فرد تُكوّنه بيئته (أو «المجتمع») إلى حد كبير. في المستوى العالي من الانعكاسية الاجتماعية، يشكل الفرد المعايير والأذواق والسياسات والرغبات الخاصة به بنفسه. يشبه ذلك مفهوم الاستقلال الذاتي.

[11] تركز بيانات الموقعية على "الهوية العرقية أو الجنسانية أو الطبقية أو غيرها من الهويات الذاتية للمؤلف وخبراته وامتيازاته"، استنادًا إلى فكرة أن هوية المؤلف يمكن أن تؤثر، بقصد أو من دون قصد، على نتائج بحثه.

[12] ومن بين الشخصيات الرئيسية التي كتبت عن الانعكاسية بوب شولت (1969)، وبول رابينو (1977)، وفنسنت كرابانزانو (1980)، وجيمس كليفورد (1986)، وجورج إي ماركوس (1986)، ورينالتو روزالدو (1989)، وروث بيهار (1995)، وديبورا أ. جوردون (1995).

[13] Gupta and Ferguson, “Discipline,” 11

[14] أجريت مقابلتنا عبر تطبيق زوم في يوليو 2020. كان كلانا في لوس أنجلوس.

الأنثروبولوجيا الذين نشأوا في العديد من المجتمعات التي هي موضوع البحث أن تجاربهم الشخصية مُنتقصة لعدم صلاحيتها من الناحية الإثنوغرافية مقارنةً بتجارب الباحثين الذين لا يملكون الخلفية نفسها. في الواقع، إن تعليقاتهم على هذه المسألة تحديدًا لها آثار مهمة على كيفية إعادة النظر في كتابة الرسائل وغيرها من أشكال الكتابة الميدانية. فقد أشارا إلى أن "[تخصصًا تحتل فيه 'التجربة' مكانة مركزية لم يكن مؤيدًا بشكل كبير لفكرة أن 'التجربة' يعاد تشكيلها باستمرار من خلال الذاكرة"، وهو ما يطرح السؤال "إذا كان بإمكان الأنثروبولوجي أن 'يكتب' إثنوغرافيا استنادًا إلى بيانات تم جمعها خلال العمل الميداني لرسالة الدكتوراه قبل عشرين أو ثلاثين عامًا، فلماذا لا يستطيع ' السكان الأصليون' أن 'يكتبوا' إثنوغرافيا استنادًا إلى واقع حياتهم؟[15]

وعلى نفس المنوال، يشير حسن رشيق في استعراضه للدراسات الأنثروبولوجية في المغرب خلال القرن الماضي إلى أنه لم يكن من الواضح دائمًا ما إذا كان الأنثروبولوجيون يأخذون أفكار أفراد المجتمعات التي درسوها "على محمل الجد."[16] وهكذا، يقسم رشيق علاقات الأنثروبولوجيين بالمجتمعات قيد الدراسة إلى قسمين: 'نظرية' و"فعلية."[17] وبما أن الأخيرة 'مخفية' أو " محجوبة" في كثير من الأحيان في الكتابات الأنثروبولوجية، فقد اعتمد رشيق، عندما كان ذلك ممكنًا، على النصوص التي تصف تجربة الأنثروبولوجيين في العمل الميداني لملء الفجوات.[18] في هذه الورقة، ستساعد رسائل هارت في إزالة الغموض عن علاقته بالموضوعات التي درسها، إلى جانب حديث منشور أعده يصف فيه تجربته أثناء العمل الميداني بالتفصيل. وبالنظر إلى أن تصورات المصداقية الأنثروبولوجية ليست واحدة، يبرز قلق منهجي أساسي آخر - ماذا يعني " تدوين" العمل الميداني؟

لفهم الأشكال العديدة (المرنة) للكتابة الميدانية التي تشكل جزءًا كبيرًا مما يفترض أن يقوم به علماء الأنثروبولوجيا في الميدان، جمع سانجيك، قبل غوبتا وفيرغسون بسنوات، في مؤلفه "ملاحظات ميدانية" (1990)، وجهات نظر حول معنى الكتابة في الميدان. ومع ذلك، وقبل الخوض في عمل سانجيك الأساسي، من المهم الإشارة إلى أنه قبل ذلك بستين عامًا تقريبًا، في ثلاثينيات القرن العشرين، بدأ كتاب "أفريقيا الشبح" لميشيل ليريس وهو سرد يومي لبعثة داكار-جيبوتي،[19] والذي عمل فيه ليريس '' أمين المحفوظات"، على تحطيم الفوارق بين الكتابة الإثنوغرافية والأكاديمية وبقية الكتابات الأخرى.[20] يشير برنت هايز إدواردز، وهو أول من ترجم عمل ليريس الكامل إلى اللغة الإنجليزية، إلى أنه من الصعب تحديد هذا الصنف من

[15] Gupta and Ferguson, "Discipline," 32

[16] حسن رشيق، Le Proche et Le Lointain : un siècle d'anthropologie au Maroc [القريب والبعيد: قرن من الأنثروبولوجيا في المغرب] (مرسيليا: Éditions Parenthèses2012، الدار المتوسطية لعلوم الإنسان، 20). جميع الترجمات في هذا المقال، من الفرنسية والإسبانية والعربية، هي من إنتاجي.

[17] Rachik, Le Proche, 21

[18] Rachik, Le Proche, 21

[19] قام عالم الأنثروبولوجيا مارسيل غريول بتنظيم "البعثة الإثنوغرافية واللغوية دكار - جيبوتي" لإثراء مقتنيات متحف التاريخ الطبيعي ومتحف الإثنوغرافيا في تروكاديرو في باريس بتمويل من البرلمان الفرنسي، وهي الأولى من نوعها في المستعمرات الأفريقية التي يسيطر عليها الفرنسيون. لمزيد من المعلومات انظر إدواردز، "مقدمة"، 1-3.

[20] Edwards, "Introduction," 1.

الكتابة : ”إنها تعمل قبل كل شيء كنوع من الكتابة المضادة.“ [21]ويتضح ذلك بشكل خاص في المشاعر المتناقضة التي كانت تتردد أحيانًا في رسائل لوريس إلى زوجته زيت، التي كان يرسل إليها نسخًا من تدوينات يومياته لضمان حفظها. وفي الطبعات الفرنسية من مذكرات ليريس التي نُشرت بعد وفاته، أُدرجت مقتطفات من رسائله إلى (ومن) عدد قليل من الأصدقاء المقربين والعائلة.[22] وقد احتفظ إدواردز بهذه الرسائل في ترجمته لأنها بمثابة ” وجهة نظر مضادة تنويرية ليوميات السفر.“ [23]وبالمثل، تم تعزيز النص بسلسلة من الحواشي والتذييلات (التي أضافها ليريس لطبعة 1934 و1951 على التوالي)، بالإضافة إلى ملاحظات المترجم إدواردز.[24] ولا يتسع نطاق هذه الأطروحة لفحص الفروق الدقيقة التي تضيفها الرسائل وملاحظات المترجم هذه إلى مذكرات ليريس التي غالبًا ما تكون مليئة بالتفاصيل الحية وردوده العاطفية الخاصة على الحياة اليومية خلال البعثة. ومع ذلك، أعتقد أن بعض الأمثلة القليلة تكفي لإلقاء الضوء على النسيج الثري الذي يمكن أن توفره ثنايا الكتابات الميدانية (اليوميات والرسائل والملاحظات التفسيرية) .لتحليل أعمال الباحث

في تدوينته بتاريخ 12 غشت 1931، وصف ليريس مهرجان تاباسكي أثناء إقامته في مالي بأنه ”طقوس عربدة“، ثم عاد ليعدل هذه العبارة في حاشية تعود إلى عام 1951 مشيرًا إلى أن التوصيف "مبالغ فيه إلى حد ما بالنسبة لعلاقة ربما لا تختلف كثيرًا عن بعض الحفلات الساهرة لدينا. "[25] على الرغم من أن لحظة كهذه قد تعطي إحساسًا بأن يوميات ليريس ستُقرأ كنص إثنوغرافي نموذجي في تلك الفترة، حيث يقوم بإضفاء الطابع الغرائبي على المجتمعات قيد الدراسة دون استجلاء دور الملاحظ، إلا أنه في رسالة لاحقة بوقت قصير، في 17 غشت1931، كتب إلى زيت، يقول ”إننا نخلق مفهومًا خاطئًا تمامًا عن الزنوج بالحكم عليهم من خلال ما نعرفه عن تماثيلهم أو من خلال الإثنوغرافيا الكلاسيكية“[26]- وهي ليست المرة الوحيدة التي سيشكك فيها في هذا الميدان.[27] ومع ذلك، بعد بضعة أشهر، وفي رسالة مؤرخة في 13 نوفمبر 1931، يبرر ليريس دون تردد نهبهم للتحف المقدسة، حيث كتب إلى زيت، "... لقد تصرفت مرة أخرى مثل المغامرين بعض الشيء، ولكنني لا أشعر بالندم: هناك أشياء جميلة سيكون من المخزي ألف مرة أن أشتريها أكثر من أن أسرقها. ”[28] تميز هذه المنعطفات غير المتوقعة هذا الكتاب الذي يمثل، كما يلخص إدواردز، ” الشعور العام داخل الاوساط الاثنوغرافية في ظل الاستعمار: الإحساس بالرضا بإنجاز المهمة ”... ومناورات التسويغ الذاتي التي كانت تكمن وراء الكثير مما كان يحدث في الميدان."[29] وتحاول هذه

[21] إدواردز، ”مقدمة“، 14. تجدر الإشارة إلى أن جيمس كليفورد قام ببعض الترجمات الأولى لمذكرات ليريس، والتي نشرها في مجلة سلفور (جيمس كليفورد، "قسم خاص: ترجمات جديدة لميشيل ليريس"، ترجمة جيمس كليفورد، وليديا ديفيس، وريتشارد سيبورث، وبول أوستر، ومايكل هاجرتي، سلفور 15 (1986): 4-125).

[22] Edwards, “A Note on the Text,” 56.

[23] Edwards, “A Note on the Text,” 56.

[24] Edwards, “A Note on the Text,” 54-5

[25] ليريس، إفريقيا الشبح، 137. التأكيد مني. أردت تسليط الضوء على استخدام لفظة ”لنا“ لإلقاء الضوء على أنه على الرغم من تراجع (أو انعكاس) ليريس الواضح عن مبالغته السابقة، إلا أنه يواصل وضع نفسه ضمن ”نحن“ غير محددة، والتي تقرأ بالتأكيد على أنها بيضاء، أورو-أميركية، مما يثير ”التساؤل حول درجة إعادة تقديره للمسافة بين ”نحن“ (أو ’أنا‘) و”هم“.

[26] Leiris, Phantom Africa, 139.

[27] انظر الرسالة الموجهة إلى زيت بتاريخ 2 أبريل 1932 (ليريس، إفريقيا الشبح، 318) والرسالة الموجهة إلى زيت بتاريخ 23 غشت1932 (ليريس، إفريقيا الشبح، 484).

[28] Leiris, Phantom Africa, 210.

[29] Edwards, “Introduction,” 19.

الأطروحة، على نطاق أضيق بكثير من " أفريقيا الشبح"، إظهار الرؤى الفريدة التي لا يمكن الحصول عليها إلا من خلال تحليل نصي متعدد الطبقات للممارسة الإثنوغرافية في ظل الاستعمار وما بعده.

قد يعتقد المرء أن التعريف هو المكان المناسب للبدء عند محاولة تحديد ماهية الكتابة الميدانية، أو في هذه الحالة في مؤلف سانجيك هذا، الملاحظات الميدانية. وتجسيدًا للقلق الذي يولّده الحديث عن العمل الميداني الأنثروبولوجي، يشير العديد من المساهمين في كتاب "ملاحظات ميدانية" إلى تحفظ الباحثين في محاولة وضع تعريف. ومع ذلك، وحتى عند الإقرار باستحالة وجود تعريف موحد يناسب الجميع للملاحظات الميدانية، فإن جيمس كليفورد يرسم الخطوط العريضة للحدود المسامية للكتابة الميدانية، والتي يحددها كل إثنوغرافي حسب رغبته:

لا يتفق جمهور الإثنوغرافيين على أي حدود مشتركة: فالمذكرات واليوميات مدرجة من قبل البعض، ومستبعدة من قبل البعض الآخر؛ والرسائل إلى العائلة، إلى الزملاء، إلى المشرفين على الأطروحات مصنفة بشكل متباين؛ بل إن البعض يستبعد حتى نصوص الحوارات. وبطبيعة الحال، فمؤسسة الملاحظات الميدانية موجودة بالفعل، إذ تُعتبر على نطاق واسع كمجموعة نصية منفصلة أفرزها العمل الميداني بشكل ما وتشكل قاعدة بيانات وصفية خام أو جاهزة جزئياً لأغراض التعميمات والتركيب والصياغة النظرية.... تحاط الملاحظات الميدانية بالأسطورة وغالبًا ما يلفها قدر من السرية. فهي سجلات حميمية، تحمل مغزى واضحًا تمامًا - كما يُقال لنا في كثير من الأحيان - بالنسبة لكاتبها فحسب.[30]

وبالتالي، فالرسائل هي بالتأكيد جزءٌ من الكتابة الميدانية، وقد تكون في بعض الأحيان موضع خلاف. علاوةً على ذلك، يسلط كليفورد الضوء، في معرض إشارته إلى تنوع تعريفات الإثنوغرافيين الجارية للملاحظات الميدانية، على أن الفصل بين العام والخاص، على الأقل من حيث المتلقي، للكتابة الميدانية ليس (وربما لا ينبغي) أن يكون منقوشًا على حجر. في الواقع، بعد بضع صفحات، سيشير كليفورد إلى الطرق التي يساعد فيها تطبيق التمييز الصارم بين الأشكال المختلفة للكتابة الميدانية بشكل أساسي على حماية ثنائية الموضوع (الشيء)/الموضوع (الشخص) المثيرة للجدل.[31] ربما بسبب المواضيع الحميمية التي تدرسها الأنثروبولوجيا، فإن الفضاء الحميمي للمراسلات الشخصية هو أيضًا أرض خصبة للكتابة الأنثروبولوجية. باختصار، ما هي العلاقات الوجدانية التي يمكن الكشف عنها من خلال فحص كتابات الأنثروبولوجي خارج نطاق أعماله المنشورة؟ أقصد بالعلاقات العاطفية هنا على نطاق واسع التجارب والدوافع العاطفية التي لا تغذي فقط ممارسة الأنثروبولوجيا (أيًا كانت)، بل أيضًا التفكير (والكتابة) حول مواضيع البحث الأنثروبولوجي. بالنسبة لهارت، وأفترض أن هذا ينطبق على معظم الباحثين، تكشف مراسلاته الشخصية عن الشكوك واللقاءات الغامضة، وربما حتى الصراعات، التي بدورها تشكل الكتابة المنشورة، ولكن نادراً ما تتم مناقشتها صراحة. من شأن الانتقال إلى بعض الأمثلة من السنوات الأولى للأنثروبولوجيا أن يبلور هذا التوتر ويضفي عليه طابعًا تاريخيًا أكثر.

---

[30] James Clifford, “Notes on (Field)notes,” in Fieldnotes, ed. by Roger Sanjek (Ithaca and London: Cornell University Press: 1990), 52

[31] Clifford, “Notes,” 66.

ربما ليس من المستغرب أن العديد من المساهمين في كتاب ”ملاحظات ميدانية“، بمن فيهم سانجيك نفسه، يؤسسون مناقشتهم للكتابة الميدانية على بعض الأمثلة البارزة من ماضي الأنثروبولوجيا - وبالتحديد تلك المتعلقة برونيسلاف مالينوفسكي، وفرانز بواس، ومارغريت ميد.[32] بالنسبة لمالينوفسكي وميد، يشير المؤلفون إلى استخدامهم للرسائل كأداة تربوية مع طلاب الدراسات العليا.[33] وتتحدث لوتكهاوس عن استخدامها لأوراق كاميلا ويدجوود التي تضمنت رسائل من أستاذها مالينوفسكي. على وجه التحديد، تسلط لوتكهاوس الضوء على الرسالة التالية من مالينوفسكي لتلخيص القيمة التربوية المنسوبة لكتابة الرسائل في العمل الميداني الأنثروبولوجي المبكر: "... تدوين رسومات تخطيطية مؤقتة لمختلف الأنشطة أو الطقوس أو الاحتفالات التي تمت معاينتها للحفاظ على اللون المحلي والشعور العاطفي وما إلى ذلك. وعلى وجه الخصوص تسجيل الانطباعات التي تم تلقيها في الأسابيع القليلة الأولى. ويمكن القيام بذلك في رسائل إلى الوطن." [34]ولعل الأمر الأكثر أهمية من اقتراح مالينوفسكي بضرورة استخدام الرسائل لتدوين الحالات العاطفية، هو أنه يستخدم أيضًا مساحة المراسلات الشخصية لتشجيع ويدجوود على الاستمرار رغم صعوبة العمل الميداني: ”... عليك التحلي بالصبر والابتهاج والتمسك بالمنهج الوظيفي، الذي ليس سوى اسم مختلف للحس السليم.“[35]

وباعتبارها كاتبة رسائل غزيرة الإنتاج، مثل هارت، تكشف مجموعة مراسلات مارغريت ميد عن ارتباطها بالكتابة الميدانية أكثر من مالينوفسكي، على الرغم من تقاطعهما في أمور مهمة. ولعل أبرزها أن ميد، مثلها مثل مالينوفسكي، تعتقد أن كتابة الرسائل هي فترة راحة ضرورية من قسوة العمل الميداني: ”إن الانغماس في حياة الميدان أمر جيد، ولكن يجب على المرء أن يكون حريصًا على عدم الغرق... يمكن أن تكون الرسائل وسيلة لتصحيح التوازن من حين لآخر... حيث يرتبط المرء... بأشخاص يشكلون جزءًا من عالمه الآخر.“ [36]والأهم من ذلك بالنسبة لهدف هذه الأطروحة في دراسة كتابة الرسائل والممارسة الأنثروبولوجية، تكشف رسائل ميد عن تغييرات كبيرة في نهجها في العمل. فبعد أن بدأت كعالمة إثنوغرافية ”موجهة نحو حل المشكلات“ تركز على المناهج الكمية، تغيرت بشكل كبير في نهاية حياتها المهنية. وتعطينا رسائلها، كما يكشف فصل ”الحياة السرية للملاحظات الميدانية“ في كتاب سانجيك لمحة عن السبب في ذلك: ” إذا انغمست بشكل كافٍ في الثقافة المحلية، فإن هذا في حد ذاته سيؤثر على اختياراتك الأخرى ويخلق مشاكل جديدة ناتجة عن تصورات المشتغلين في الميدان.“[37]

وربما ليس من المستغرب أن بواس، أستاذ ميد الذي شجعها على منهجية عملها الميداني الأولي، أكثر صراحة في رسائله من الأشكال الأخرى من الكتابة الميدانية. يشير سانجيك إلى العديد من الأمثلة على

---

[32] Roger Sanjek, “The Secret Life of Fieldnotes,” in Fieldnotes, ed. by Roger Sanjek (Ithaca and London: Cornell University Press: 1990), 188.

[33] روجر سانجيك، ”مصطلحات خاصة بالملاحظات الميدانية“، في ملاحظات ميدانية، روجر سانجيك، (إيثاكا ولندن: مطبعة جامعة كورنيل: 1990)، ص 111؛ نانسي لوتكهاوس، "Refractions of Reality: حول استخدام الملاحظات الميدانية لدى الإثنوغرافيين الآخرين”، ضمن كتاب ”الملاحظات الميدانية”، روجر سانجيك، ص 303-323 (إيثاكا ولندن: مطبعة جامعة كورنيل، 1990)؛ وروجر سانجيك، “On the Validity of Ethnographic"، ضمن الملاحظات الميدانية، روجر سانجيك، ص 385-418 (إيثاكا ولندن: مطبعة جامعة كورنيل: 1990).

[34] لوتكهاوس، ”Refractions“ 305، . التأكيد مني. أردت أن أسلط الضوء على اعتراف مالينوفسكي الواضح بالرسائل كمساحة توليدية فريدة لمناقشة المشاعر.

[35] Lutkehaus, “Refractions,” 306.

[36] Sanjek, “A Vocabulary,” 112.

[37] Sanjek, “The Secret,” 225.

"الوصف الإثنوغرافي الحي" التي تظهر فقط في مراسلات بواس الشخصية، وليس في ملاحظاته الميدانية.[38] ومن العناصر الأخرى التي يبدو أنها لا تشغل سوى صفحات الرسائل اعتماد بواس على "المخبرين"، وهو عنصر في رسائل هارت أيضًا. [39]وفي سياق متصل، تزيل رسائل بواس الغموض عن علاقة المقايضة بين الباحثين والمتعاونين معهم. في إحدى الروايات الخاصة التي يسلط سانجيك الضوء عليها، يتم الكشف عن اعتماد بواس على متعاونه وتلاعبه بالطقوس، باستخدام المال: "تكشف رسائل بواس الميدانية... عن ملابسات تسجيل سلسلة الاحتفالات الشتوية لعام 1894. تم دفع ثمن وليمة اليوم الأول من قبل بواس: 14.50 دولارًا مقابل البسكويت الصلب والعسل الأسود لـ 250 هنديًا. وقد حصل بواس على مجموعة من الدعوات... وكتب بواس عندما لم يكن هانت معه، "لم أكن أعرف ما الذي كان يحدث. ". [40]ومن غير المستغرب أن يذكر سانجيك في الفصل الختامي من كتابه أنه "يجب كتابة "التاريخ السري للمساعدين" مؤكدًا أن "لا يجب أن يكون الحل مجرد إدراج كتابات المخبرين أو تحريرها أو نسخها أو المشاركة في تأليفها"، بل "يجب أن نكسر كل ساق من سيقان الأنثروبولوجيا الأربعة [التي تعكس رؤى الطبقة الوسطى الغربية، ذكوراً وإناثاً] ونوسع قاعدة هذا التخصص بشكل جذري." [41]

شكّلت الرسائل، مثار الخلاف ، بالتأكيد جزءًا أكثر حميمية من مجموعة الكتابات الميدانية التي خلّفها الأنثروبولوجيون، ويجب أن تظلّ مصدرًا أساسيًا لتوسيع حدود المرجعية الأنثروبولوجية. في الواقع، من خلال رسائل هارت، ندرك مدى اعتماده على المتعاونين في تحليل المعلومات، كما أن مستويات المعاملات التي ميزت علاقاتهم تتجاوز المال وحده، وتشمل أيضًا إمكانية الخروج من المغرب. يقوم هارت أيضًا بتغييرات مهمة في توجهاته بخصوص النظرية الانقسامية وفكرة الفصل بين بلاد المخزن/بلاد السيبة التي شكلت العمود الفقري النظري للتحليل الإثنوغرافي خلال معظم حياته المهنية. وتكشف الرسائل[42] (بالإضافة إلى محاضرة أعدها قبيل نهاية حياته)[43] عن التوترات التي ميزت هذا التحول، بينما تشهد كتاباته المنشورة على نتيجة ذلك. على سبيل المثال، كتب هارت في يونيو 1989، بعد فترة قصيرة من نشر هنري مونسون

---

[38] Sanjek, "The Secret," 197.
[39] Sanjek, "The Secret," 199
[40] Sanjek, "The Secret," 202
[41] Sanjek, "On Ethnographic Validity," 407-8
[42] يشير مصطلح "بلاد المخزن/بلاد السيبة"، في هذه الأطروحة، إلى الفكرة القائلة بأن بعض المناطق في المغرب كانت تاريخيًا تحت سيطرة الجهاز المخزني المركزي أو جهاز الدولة، بينما قاومت مناطق أخرى باستمرار السيطرة المذكورة (السيبة). تناقش الرسائل التالية جوانب مختلفة من النظرية الانقسامية، بما في ذلك مفاهيم هيكلية كخمس اخماس ومخزن/سيبة: ديفيد م. هارت إلى روس دن، 9 نوفمبر 1967، مستندات خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 2 فبراير 1968، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 16 مارس 1968، مستندات خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 9 مايو 1968، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 19 يوليو 1968، مستندات خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 4 غشت1968، مستندات خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 17 يناير 1969، مستندات خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 20 يناير 1969، مستندات خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 4 فبراير 1969، مستندات خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 17 أبريل 1969، مستندات خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 28 مايو 1969، مستندات خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 9 يونيو 1969، مستندات خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 8 مايو 1970، مستندات خاصة; ديفيد م. هارت إلى روس دان، 5 شتنبر 1970، مستندات خاصة؛ وديفيد م. هارت إلى روس دان، 19 نوفمبر 1970، مستندات خاصة؛ وديفيد م. هارت إلى روس دان، 24 أبريل 1989، مستندات خاصة؛ وديفيد م. هارت إلى روس دان، 25 يونيو 1989، مستندات خاصة. يُرجى الانتباه إلى أنني اطلعت على هذه الرسائل من خلال ملف شاركني إياه أستاذي أومار بوم وليس عبر أرشيف المغرب مباشرةً. وبالتالي، لم أستشهد بأرشيف المغرب في هذه الورقة البحثية، تحسبًا لأن نظام الفهرسة لديهم قد يكون مختلفًا قليلًا عن نظام قاعدة البيانات التي تلقيتها من الدكتور بوم. ومع وجود تاريخ الرسالة في جميع اقتباساتي، ينبغي أن يتمكن أي باحث لاحق من العثور على هذه الملفات بغض النظر عن نظام الفهرسة الذي يستخدمه أرشيف المغرب، حيث توجد هذه الرسائل الآن.
[43] ديفيد م. هارت، "المؤتمر الافتتاحي لندوة "الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيين في المغرب: تكريمًا لديفيد م. هارت"، طنجة، 18 و19 نوفمبر/تشرين 2000 ، تأليف أنخيل راميريز وبرنابي لوبيز غارسيا الثاني (برشلونة: Edicions Bellaterra, 2002), 77-109.

الإبن لمقاله عن النظرية الانقسامية في الريف،[44] وكتب هارت إلى دن قائلاً: "ربما كنت مخطئًا إلى حد ما في الماضي، ولكن ليس إلى حد الإفراط، كما أعتقد، بل إنني أتجنب كل ذلك اليوم أكثر من ذي قبل."[45]

ومع ذلك، وبعد سنوات ، ولاسيما في منشورات باللغة الإسبانية، اقترح هارت مصطلح "الانقسامية المضادة"، مؤكداً وجود "انقسامية مثالية" في " أذهان الريفيين." [46]هذا الإطار البديل يعتبر أن جميع الريفيين يفهمون الانقسامية على أنها المعيار المطلوب لسلوك المجتمع، ولكن "عندما تتدخل اعتبارات أخرى أكثر أهمية"، وخاصة القضايا المتعلقة بالأرض والمرأة، يتم تجاهل قواعد هذا النظام.[47] في الصفحات القليلة التي خصصها هارت لهذا النموذج المنقح في آخر مؤلفاته المحررة التي شارك في تأليفها مع رشيد راخا، المجتمع الأمازيغي في الريف المغربي: حول النظرية الانقسامية في المغرب الكبير (1999)،[48] وهو لا يستشهد بعمل ميداني جديد، بل يجد أن معظم الحالات التي احتجّ عليها مونسون الابن معتبراً أنها لا تؤكد القواعد الانقسامية كانت أمثلة على "انقسامية مضادة. "[49] وعلاوة على ذلك، يؤكد أن هذه "الانقسامية المضادة"، إلى جانب "أيديولوجية الانقسامية المجردة" و"المتلازمات الأربعة: الغرامات والقسمات والاقتتال بين الأشقاء والأخذ بالثأر... تزدهر في جو من " الانفصال المؤسساتي" الذي يميز الريف، خاصة خلال فترة الريفوبليك بين عامي 1898 و1921. "[50] ومن دون إعطاء أمثلة على الحالات التي أكد فيها الريفيون وجود نموذج انقسامي مثالي يتم إجهاضه في ظل ظروف محددة، يصعب تقييم مزاعم نموذج هارت البديل: "الانقسامية المضادة". ومع ذلك، من الواضح أن تحليل علاقة هارت المرتبكة بالنظرية الانقسامية، طوال حياته المهنية، يتطلب تحليلاً متعدد الطبقات لكتاباته الخاصة والعامة، وذلك عبر لغات ودور نشر مختلفة.

وهكذا، ولكي ندرك الإمكانات الكاملة للكتابة السابقة والمستقبلية، علينا أن نسدّ الفجوات بين جنس الكتابة الميدانية وبقية الكتابات الأخرى. على وجه الخصوص، يجب أن نتساءل عن سبب تضمين الملاحظات الميدانية معلومات أساسية، مثل العلاقات مع المتعاونين والتجارب الحميمية التي تؤثر على البحث، بينما لا تتضمنها كتابات أخرى موجهة خصيصًا للعموم. من المؤكد أن الباحثين قد أدرجوا في تحليلاتهم بعض التفاصيل الشخصية الخاصة التي تُطلب من المتعاونين، كما هو الحال في أعمال زورا نيل هورستون،

---

[44] Henry Munson Jr., "On the Irrelevance of the Segmentary Lineage Model in the Moroccan Rif," American Anthropologist 91, no. 2 (1989): 386-400.

[45] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 25 يونيو 1989، مجموعة خاصة.

[46] انظر David M. Hart and Rachid Raha, "Introducción," in La Sociedad bereber del Rif marroquí: sobre la teoría de la segmentariedad en el Magreb [المجتمع الأمازيغي في الريف المغربي: حول النظرية الانقسامية في المغرب الكبير]، تحرير ديفيد م. هارت ورشيد راخا (غرناطة: Editorial Universidad de Granada, 1999)8 ، وHart, "Conferencia inaugural," 99.

[47] Hart and Raha, "Introducción," 8.

[48] بصرف النظر عن الصفحة 8، المشار إليها في الحاشيتين 51 و52، انظر أيضًا، ديفيد هارت "ابن خلدون وإيفانز بريتشارد: التضامن السلالي والانقسامية في نظرية وممارسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية في العالم الإسلامي" ضمن La Sociedad bereber del Rif marroquí: sobre la teoría de la segmentariedad en el Magreb، تحرير ديفيد م. هارت ورشيد راخا (غرناطة: Editorial Universidad de Granada1999)، 8-46 . انظر أيضًا، ديفيد م. هارت، " النزاعات الريفية المتوارثة أو الثأر الريفي والانقسامية أو الانقسامية المضادة: حقائق إضافية حول ايث ورياغر ورد جزئي على هنري مونسون الابن" في La Sociedad bereber del Rif marroquí: sobre la teoría de la segmentariedad en el Magreb، ديفيد م. هارت ورشيد راخا (غرناطة: Editorial Universidad de Granada1999)، 160-1. في المجموع، يتحدث هارت عن هذا النموذج في حوالي ست صفحات فقط.

[49] Hart, "Luchas hereditarias," 160.

[50] Hart, Luchas hereditarias," 161.

وغسان الحاج، ولورانس رالف، وهوناني كاي تراسك على سبيل المثال لا الحصر.[51] من المعروف أن كتاب هورستون بأكمله جاء في شكل سردي، لا يكشف فقط عن محتوى الأسئلة التي طرحتها على الشخص الذي كانت قد استجوبته وهو كوسولا، آخر شخص معروف تم استعباده ونقله إلى الولايات المتحدة من أفريقيا في القرن التاسع عشر، بل أيضًا ردود فعلها العاطفية، وفي بعض الأحيان، التطور المتقلب لعلاقتهما.[52] وبالمثل، نشر رالف ملاحظاته الميدانية طوال فترة عمله الإثنوغرافي، حيث بدأ كل فصل بملاحظة تتعلق بموضوع القسم. وكما هو واضح ربما من عنوان عمله ("كراهية إسرائيل في الميدان: عن الإثنوغرافيا والمشاعر السياسية")، يجعل الحاج من تفاعله العاطفي مع البحث ("كراهية إسرائيل والسخط عليها") موضوعًا لمقاله - "سأبين كيف أنني من خلال التأمل في مشاعري السياسية الخاصة بدأت في صقل تصوري التحليلي حول ما تنطوي عليه هذه المشاعر."[53] وبالمثل، فإن عنوان تراسك (من فتاة من السكان الأصليين) وكتابتها واضحة في تحديد علاقتها بالموضوع. خذ على سبيل المثال بضعة أسطر في مقدمتها: "بغض النظر عما يعتقده الأمريكيون، فإن غالبيتنا في المستعمرات لا نشعر بالامتنان لأن بلدنا قد سُرق منا، إلى جانب مواطنتنا وأراضينا ومكانتنا المستقلة بين الأمم. نحن لسنا سكانًا أصليين سعداء." [54]إن إحدى المزايا العظيمة للأنثروبولوجيا، على عكس التخصصات المشابهة، هي الأهمية التي تعطى للقاءات الإثنوغرافية في التحليل. ومع ذلك، يبدو لي أن الغموض المستمر في ممارسات الكتابة الميدانية، سواء في إطار التكوين الأنثروبولوجي أو في الكتابات المنشورة، لا يتيح لهذا التخصص أن يستغل، على المستوى الهيكلي، كامل إمكاناته.

[51] انظر على وجه التحديد، زورا نيل هورستون، باراكون: قصة آخر "حمولة زنجية"، تحرير ديبورا ج. بلانت مع مقدمة بقلم أليس ووكر (نيويورك، نيويورك: أميستاد، طبعة من هاربر كولينز، 2018)؛ غسان الحاج، "كراهية إسرائيل في الميدان: حول الإثنوغرافيا والمشاعر السياسية"، النظرية الأنثروبولوجية 9، 1 (2009): 59-79؛ لورنس رالف، "أحلام المتمردين: معايشة الجرح في أرض العصابات في شيكاغو (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، 2014)؛ وهوناني كاي تراسك، من فتاة من السكان الأصليين: الاستعمار والسيادة في هاواي، الطبعة الثانية (هونولولو: مطبعة جامعة هاواي، (1999 [1993].

[52] قد يكون البعض على دراية باتهامات الانتحال في أعمال هورستون. تشرح ديبورا ج. بلانت في" خاتمة" الطبعة التي نُشرت مؤخرًا، بإيجاز "على الرغم من أن مقال المجلة ومخطوطة الكتاب يشتركان في موضوع كوسولا، إلا أنهما عملان مختلفان. وحيث إن تهمة الانتحال قد تكون ممكنة في الأول، فإنه لا أساس لها من الصحة في الثاني... في استخدامها لعمل روش، كما هو الحال في استخدامها لمواد ثانوية أخرى، تبذل هورستون جهدًا ، وتضع الاقتباسات المباشرة ضمن علامات الاقتباس، "Historical Sketches" صادقًا في باراكون لتوثيق مصادرها. فهي تعيد اقتباس المقاطع من على الرغم من أنها في مسودة المخطوطة غير متسقة في ذلك. كما أن بعض المصادر موثقة بالفعل داخل نص المقدمة وبعضها الآخر موثق ضمن حواشي نص السرد." [ديبورا ج. بلانت، "خاتمة"، في زورا نيل هورستون، باراكون: قصة آخر" حمولة أفريقية"، تحرير ديبورا ج. بلانت مع مقدمة بقلم أليس ووكر (نيويورك، نيويورك: أميستاد، طبعة من هاربر كولينز، 2018)، 192-3].

[53] Hage, “Hating Israel,” 131.

[54] Trask, Native Daughter, 2

الجزء الثالث: الأرشيف

روى المؤرخ روس دن، الذي كان أول من فكر في التبرع بمجموعة رسائل هارت إلى الأرشيف، في مقابلة معي خلال صيف عام 2020، أنه بدأ في الاحتفاظ بمراسلاتهما منذ الرسالة الأولى، مشيرًا إلى أن تلك الرسائل المتبادلة المبكرة احتوت على معلومات قيمة استخدمها دن لاحقًا في كتابة أطروحته.[55] عندما بدأ دن في فهرسة رسائله حوالي عام 2016، والتي تمتد من عام 1967 إلى عام 2001، ومن المحتمل أن يصل مجموع صفحاتها إلى ما يزيد عن 10,000 صفحة، أعدّ قائمة بمراسلات هارت المحتملة، والتي تضمنت باحثين من جميع أنحاء العالم (مثل لاري روزن، وجورج جوفي، وجون واتربوري، وجون تشيابوريس، وفنسنت كرابانزانو، وهنري مونسون الابن، ويوسف حزماوي، وجاك فينيه زونز). وعلى الرغم من أنه لا يبدو أن أيًا من الذين استجابوا كان لديهم نفس عدد الرسائل التي لدى دن، إلا أن أولئك الذين لديهم مجموعة كبيرة (إدموند بيرك الثالث وجاك فينييه زونز) تبرعوا بمجموعتهم إلى الأرشيف الوطني في الرباط. وقد تبلورت فكرة إنشاء وحدة للمجموعة في الأرشيف الوطني بعد أن زار دن مكتب أومار بوم في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس لطلب مساعدته في إيجاد مقر لرسائل هارت في المغرب "حيث ينبغي أن تكون."[56] بعد فترة وجيزة من اتصاله بجمعة بيضا،[57] مديرة الأرشيف الوطني، واهتمامه برقمنة هذه الرسائل في حوالي 750 ملفًا (بعضها يحتوي على عدة رسائل)، أرسل بوم صناديق المراسلات الأصلية إلى المغرب. أصبح تبرع دن رسميًا في أبريل 2017، عندما زار بيضا في مقر الأرشيف الوطني في الرباط.

على مدى السنوات العديدة الماضية، وتحت إشراف بيضا، قام الأرشيف الوطني بتوسيع أرصدته لتشمل مواد واسعة حول فترة ما بعد استقلال المغرب وكذلك المناطق المهمشة تاريخياً من البلاد (مثل الريف ومجتمعات الواحات في الجنوب). يصف موقع الأرشيف الوطني على الإنترنت ثلاث فئات رئيسية من المواد: المجموعات العامة حول فترة الحماية الفرنسية، والمجموعات الخاصة التي عُهد بها إلى الأرشيف الوطني لحفظها، وتقارير مركز الدراسات الإدارية المتقدمة حول إفريقيا وآسيا الحديثة[58] وكذلك القسم التاريخي حول المغرب.[59] ولعل أبرز إضافة حديثة لهذه المجموعات كانت في عام 2017 عندما عُهد بأرشيف هيئة الإنصاف والمصالحة[60] إلى الأرشيف الوطني. حتى أن باحثين، مثل سوزان سليوموفيتش، الذين كتبوا على نطاق واسع عن حقوق الإنسان في المغرب والجزائر، طُلب منهم التبرع بأوراقهم إلى الأرشيف.[61] وبالمثل، بالإضافة إلى رسائل هارت، حصل الأرشيف الوطني مؤخرًا على أوراق الجنرال

---

55 تحدثنا عبر تطبيق **زوم** في يوليو 2020. كان كلانا في لوس أنجلوس، كاليفورنيا.

56 تذكر أومار بوم هذه اللحظة وشاركني إياها عبر مراسلات شخصية.

57 بالنسبة للأسماء العربية في هذا المقال، أكتفي بالتهجئة التي أرى أن الفرد يستخدمها بنفسه.

58 مركز الدراسات الإدارية المتقدمة حول أفريقيا وآسيا الحديثة.

59 القسم التاريخي المغربي.

60 هيئة الإنصاف والمصالحة. تصف سوزان سليوموفيتش هذه الهيئة بأنها "شبه حكومية". تمتد اختصاصاتها لأكثر من أربعة عقود، منذ استقلال المغرب في عام 1956 حتى عام 1999. وقد تم تقديم أكثر من 22,000 ادعاء بانتهاك حقوق الإنسان بين 12 يناير و13 فبراير 2004. [سوزان سليوموفيتش، "هيئة الإنصاف والمصالحة المغربية: وعود أرشيف حقوق الإنسان"، مجلة الدراسات العربية 24، عدد 1 (ربيع 2016): 14-15.]

61 تم تأكيده عبر البريد الإلكتروني خلال صيف 2020.

خوسيه إنريكي فاريلا إغليسياس (1891-1951)، المندوب السامي للمغرب الإسباني، مما وسّع من مقتنياته المتعلقة بالريف والمناطق الأخرى التي كانت خاضعة للسيطرة الاستعمارية الإسبانية. وعلاوة على ذلك، تم إرسال العديد من الوثائق حول المناطق القروية في وسط وجنوب المغرب إلى الأرشيف الوطني، مثل أرشيف عائلة فرانسيس غوان[62] الذي يتضمن وثائق عن مركز التعليم والتربية القروية[63] والمواد التي جمعها أومار بوم من المجتمعات المحلية في محيط طاطا. يبدو أن رسائل هارت، التي تحتوي على معلومات عن فترة انتقالية في تاريخ المغرب، خاصة في منطقة لم يتم دراستها بشكل واف (الريف)، تتوافق بالتأكيد مع التوجه الحالي للأرشيف - توسيع نطاق المجموعات لتشمل مواد من المناطق المهمشة تاريخياً وفترات معينة من تاريخ المغرب.

[62] من مواليد عام 1936.
[63] مركز التعليم والتربية القروية.

الجزء الرابع: المنهجية

عندما وصلت إلى جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس قبل عامين لبدء مشروع الدكتوراه في الأنثروبولوجيا، أوصاني أستاذي أومار بوم بالكتابة عن هذا الأرشيف الذي تم إنشاؤه حديثًا، لعدة أسباب، ربما كان من أبرزها اهتمامي القديم بالمغرب المستعمر من قبل الإسبان.[64] إن إعادة تقييم هارت الفريدة للإثنوغرافيا العسكرية الإسبانية، والتي لا تزال تمثل بعض الأعمال القليلة حول هذا الموضوع باللغة الإنجليزية،[65] تسلط الضوء على خصوصيات الجهاز الاستعماري في شمال أفريقيا. وعلى هذا النحو، قبلت المشروع بسرور.

وبالنظر إلى أن مجموع رسائل هارت (مع دن وحدها) يزيد عن 10,000 صفحة من الوثائق، فقد تمكنت فقط من مسح هذه المجموعة لأغراض هذه الأطروحة. وفي محاولة لتكون هذه المجموعة معبرة قدر الإمكان، قمتُ بتحليل الرسائل الخاصة بكل عقد من عقود الأرشيف (الستينيات والسبعينيات والثمانينيات والتسعينيات). حاولت قراءة الرسائل من بداية العام ونهايته على حد سواء، على أمل الحصول على صورة أشمل للمواضيع المهمة خلال تلك الفترة.[66] وكلما كان هناك موضوع يبدو وثيق الصلة بشكل خاص بمحور هذه الأطروحة، مثل المستجدات المتعلقة بالمساعدين الميدانيين، أو النقاشات حول جماعات الحراطين، أو التعليقات على الكتب وكذلك المؤتمرات التي يتم تنظيمها على شرف هارت، كنت أركز على عدة رسائل ذات الصلة بدلاً من القفز إلى فترة أخرى من العام.

وكما ذكرت أعلاه، تم تحليل محتوى رسائل هارت جنبًا إلى جنب مع كتاباته المنشورة. وبطبيعة الحال، من المستحيل تغطية كامل أعمال ديفيد هارت في ورقة بحثية واحدة.[67] وعليه، ولكي تكون تلك الأوراق أكثر تمثيلية قدر الإمكان، قمتُ بمسح المنشورات التي تغطي ما يقرب من خمسة عقود من مسيرة هارت المهنية باللغات الثلاث التي نشر بها.

[64] على وجه التحديد، يركز بحث أطروحتي على تاريخ الاستعمار القائم على التمييز العرقي في المنطقة وكيف شكلت عمليات صياغة الهوية العرقية العلاقات بين السود واليهود المغاربة على مر الزمن.

[65] مع استثناءات ملحوظة من سوزان مارتن ماركيز، الارتباكات: الاستعمار الإسباني في أفريقيا وأداء الهوية (نيو هافن ولندن: مطبعة جامعة ييل، 2008)؛ وإريك كالديروود، الأندلس المستعمَرة: إسبانيا وصناعة الثقافة المغربية الحديثة. (كامبريدج: مطبعة بيلكناب التابعة لمطبعة جامعة هارفارد، 2018)؛ وجوزيب لويس ماتيو ديستي، "Remembering the tatas: an oral history of the Tetouan elite about their female house slaves," Middle Eastern Studies 56, 3 (2020): 438-452.

[66] يسعدني مشاركة ملاحظاتي مع أي شخص مهتم.

[67] وكما هو مذكور أعلاه، نظرًا لأن هارت نشر على نطاق واسع باللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية، فمن الصعب إحصاء عدد منشوراته بدقة. وبحسب تقديراتي المعتمدة على الببليوغرافيات المستفيضة لأعمال هارت التي ظهرت في كتابين نُشرا تكريماً له، وهما " Tribe and State: Essays in Honor of David Montgomery Hart (Cambridgeshire 1991) وAntropología y antropólogos en Marruecos: Homenaje a David M. Hart (برشلونة 2002)، فقد نشر ما لا يقل عن تسعة كتب وأكثر من ثلاثين مقالة بين عامي 1954 و2000.

الجزء الخامس: الكتابة حول الريف: من كون إلى هارت وأبعد من ذلك

في مقدمة كتابهما "الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيون في المغرب: تكريماً لدفيد م. هارت (2002)، يعزو عالم الأنثروبولوجيا الإسباني أنخيليس راميريز والمؤرخ برنابي لوبيز غارسيا بشكل لا لبس فيه تنشيط الإثنوغرافيا الاستعمارية الإسبانية إلى عالم الأنثروبولوجيا الأميركي ديفيد هارت. ويزعمان أنه "إذا كان هناك شخص أنقذ إثنوغرافيا المستعمرة فهو هارت." [68]وبالمثل، في الآونة الأخيرة، وبالضبط في عام 2016، نشرت جمعية صوت الديمقراطيين المغاربة، وهي جمعية مقرها هولندا، ترجمة عربية في مجلدين لأكبر مساهمة لهارت في مجال الإثنوغرافيا المغربية - أطروحة الدكتوراه التي كتبها قبل أكثر من 40 عامًا - بعنوان " أيث ورياغر: قبيلة من الريف المغربي، دراسة إثنوغرافية وتاريخية. وقد كتب ممثلا الجمعية فريد أولاد لحسن وفريد بن قدور في مقدمة الطبعة العربية من الحسيمة أن "من يقرأ هذا الكتاب بعمق سيكون كمن يحمل شمعة في وسط عاصفة أو في دهاليز تاريخنا المعاصر المظلمة، وستتضح له وجهات نظر مهمة من حياة أسلافنا."[69]

وبمجرد النظر إلى مقدمتي هذين النصين، يمكن للمرء أن يلمح التعقيدات التي يمثلها إرث هارت والامتداد الواسع لتأثيره على الدراسات الأمازيغية عمومًا، والدراسات الإثنوغرافية في جميع أنحاء الريف خصوصًا. يشير راميريز ولوبيز غارسيا في المقدمة القصيرة لكتاب "الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيون" إلى أنه على الرغم من أن هارت لم يكن جزءًا مما يمكن اعتباره التيار السائد في الأنثروبولوجيا الأورو-أمريكية الخاصة بشمال أفريقيا في منتصف القرن العشرين، إلا أن عمله مفيد من نواحٍ عديدة، بما في ذلك حقيقة أنه "استعاد ... بعض الأدبيات الإثنوغرافية الخاصة بالحماية الإسبانية، 'الجيدة' منها والأقل 'جودة'، ولكن لا يزال كل شيء مثيرًا للاهتمام. "[70] وبالتالي، ليس من المستغرب أن المساهمين في المؤلف ناقشوا بالتحديد مسألة إنتاج المعرفة في الفترة الاستعمارية. على سبيل المثال، كتب جوزيب لويس ماتيو ديستي أن ممارسة الإثنوغرافيا في الريف خلال الفترة الاستعمارية لا يمكن فصلها عن الأهداف السياسية الأوسع نطاقًا، وأن" هذه المعرفة بالبنى الاجتماعية في الريف المغربي (القبائل) كانت مشروطة بهدف واضح يتمثل في السيطرة السياسية من جانب المراقبين [الإثنوغرافيين العسكريين الاستعماريين الإسبان]."[71]

من خلال قراءة مجموعة مراسلات هارت الشخصية بين عامي 1967 و2001، يمكن للمرء أن يلاحظ حدوث تغيرات في وجهات النظر التي بدأ يأخذ بها شخصيًا، خاصة من خلال التواصل مع باحثين محليين، فيما يتعلق بأي حجة تعيد صياغة التصنيفات الاجتماعية استنادًا إلى الإثنوغرافيا الأوروبية. على سبيل

[68] Ángeles Ramírez and Bernabé López García, “Introducción [Introduction],” in Antropología y Antropólogos en Marruecos: Homenaje a David M. Hart, eds. Ángeles Ramírez and Bernabé López García, (Barcelona: Edicions Bellaterra, 2002), 17.

[69] فريد أولاد لحسن وفريد بن قدور، تقديم جمعية صوت الديمقراطيين المغاربة بهولندا، ضمن كتاب: " "آيث ورياغر: قبيلة من الريف المغربي، دراسة إثنوغرافية وتاريخية، الجزء الأول لديفيد م. هارت، ترجمة محمد اونية وعبد المجيد عزوزي وعبد الحميد الرايس, 2016), VIII.

[70] راميريز ولوبيز غارسيا، "مقدمة"، 17

[71] Josep Lluís Mateo Dieste ”La paraetnografía militar coloniala: poder y sistemas de clasificación social “ في Antropología y Antropólogos en Marruecos: Homenaje a David M. Hart، تحرير أنجيليس راميريز وبرنابي لوبيز غارسيا (برشلونة: Edicions Bellaterra، 2002)، 113 .

المثال، في رسالة مؤرخة في 23 مايو 1968، يشير هارت إلى أن "يوسف أكد لي أنه لا يوجد في الأمازيغية مصطلح مرجعي أو وصفي لقبيلة بأكملها - يمكن للمرء ببساطة أن يقول: أيت حديدو، أيت مرغاد، أيت عطا."[72] هنا، يشير هارت إلى يوسف حزماوي الذي عمل كمساعد باحث ومترجم للعديد من الباحثين الناطقين بالإنجليزية الذين مروا بالمغرب خلال القرن العشرين، بمن فيهم إرنست جيلنر وفنسنت كرابانزانو. وفي نهاية المطاف، وبعد العديد من الانتقادات اللاذعة التي وجهها كل من عبد الله حمودي[73] وهنري مونسون الابن لكل من جيلنر وهارت لتمسكهما بالنظرية الانقسامية،[74] سيغير هارت رأيه بشكل كبير. فهو لم يكتفِ بالاعتراف بأن معطياته الإثنوغرافية لم تثبت في الواقع وجود النظرية الانقسامية للسلالة فحسب،[75] لكنه أيضًا انتهى إلى اعتبار الأنثروبولوجيا، خاصة مع انتشار الإطارات النظرية الماركسية والتأويلية منذ السبعينيات، حقلاً غير مناسباً لبحث إثنوغرافي مثل بحثه.[76]

وبالمثل، في مقدمة المترجمين لأطروحة هارت، (ما يقرب من 1000 صفحة، منشورة على ورق عالي الجودة لعرض مجموعة الصور الواسعة) يسارع محمد اونيا وعبد المجيد عزوزي وعبد الحميد الرايس، وجميعهم أساتذة مقيمون في المغرب، إلى التنبيه إلى ضرورة توخي الحذر عند الإشادة بإسهامات هارت الأكاديمية. إذ يسلطون الضوء، على وجه التحديد، على كيفية استفادة هارت من الانتقادات التي وجهها إليه مؤرخون مثل جيرمان عياش، وهو رائد علم التاريخ في مغرب ما بعد الاستقلال، والذي اعترض على إصرار هارت (وغيره من الباحثين الأجانب في الغالب) على وجود قطيعة ثابتة بين بلاد المخزن وبلاد السيبة.[77] وفي معرض الدعوة إلى اعتماد رؤية أكثر دقة للدينامية التي تحكم العلاقة بين مختلف مناطق المغرب خلال حقبة ما قبل الاستعمار، أشاروا إلى "أننا نواجه التأريخ الاستعماري والأطروحة الإثنوغرافية بمنظور وطني ضيق، ومع ذلك، يجب وضع الخطاب حول 'الآخر' في إطار متوازٍ مع النقد الذاتي في الوقت نفسه."[78]

[72] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 23 مايو 1968، مجموعة خاصة.

[73] انظر عبد الله حمودي "الإنقسامية والتراتبية الاجتماعية والسلطة السياسية والصلاح: تأملات في أطروحات جيلنر." الاقتصاد والمجتمع 9، 3 (1980): 279-303.

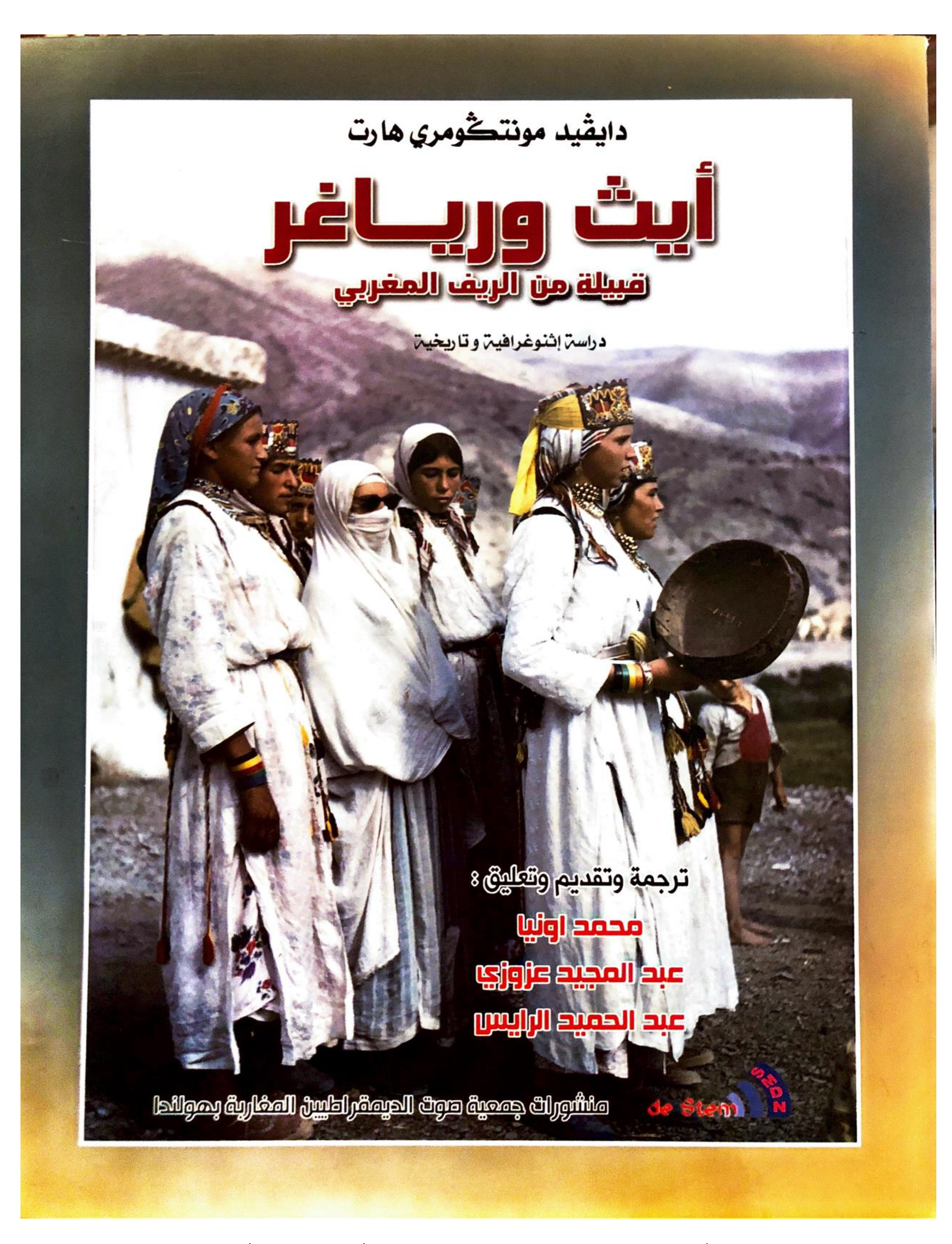
[74] انظر Henry Munson Jr., "On the Irrelevance of the Segmentary Lineage Model in the Moroccan Rif," American Anthropologist 91, no. 2 (1989): 386-400، " Segmentation: Reality or Myth?" The Journal of the Royal Anthropological Institute 1, no. 4 (1995): 821-832، و" Rethinking's Gellner's Segmentary Analysis of Morocco's Ait 'Atta's Ait 'Atta," Man 28, no.2 (1993): 267-280.

[75] انظر ديفيد م. هارت، "(Models in Morocco)." The Journal of the Royal Anthropological Institute 2, no. 4 (1996): 721-22

[76] Hart, "Luchas hereditarias,"166. وهنا يقول بعبارات لا لبس فيها "....من وجهة نظرنا، الإثنوغرافيا هي أو كانت القلب النابض للأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، والآن توقف هذا القلب عن النبض. فالنظرية الأنثروبولوجية ليست سوى واجهة ... بالمقارنة مع الحقائق الإثنوغرافية، خاصة إذا ثبت، وهو ما يبدو أنه يحدث في كثير من الأحيان، أنها [النظرية الأنثروبولوجية] لا تقوم بوظيفتها في معظم الحالات". نُشرت مقاطع من هذا الفصل في "رد على هنري مونسون الابن "حول عدم ملاءمة النموذج الانقسامي للسلالة في الريف المغربي". American Anthropologist 91, no.3 (1989): 765-769، مقتطف من مقال أطول يحمل نفس العنوان، وهو الفصل المكتوب باللغة الإسبانية الذي كان من المفترض أن يظهر في كتاب "آيث ورياغر وجيرانهم الريفيون" (مطبعة ميناس)، والذي يبدو أنه لم يصل إلى مرحلة النشر النهائي.

[77] محمد اونيا، وعبد المجيد العزوزي، وعبد الحميد الرايس، تقديم المترجِمين، ضمن كتاب: " آيث ورياغر ": قبيلة من الريف المغربي، دراسة إثنوغرافية وتاريخية، الجزء الأول"، تأليف ديفيد م. هارت، ترجمة محمد اونيا وعبد المجيد العزوزي وعبد الحميد الرايس (2016)، ix.

[78] محمد اونيا، وعبد المجيد العزوزي، وعبد الحميد الرايس، تقديم المترجِمين, xii



الصورة رقم 1 الغلاف الأمامي للترجمة العربية لكتاب هارت الأساسي عن "أيث ورياغر".

ولكي نفهم بشكل أفضل تعقيدات إرث هارت، علينا أولاً أن نتتبع مسيرته الأكاديمية. بعد حصوله على شهادة في اللغات الحديثة[79] من جامعة برنستون، عمل في شركة تابعة لشركة أرامكو[80] في المملكة العربية السعودية، وهي تجربة ترددت كثيراً في رسائله،[81] خاصة كنقطة مقارنة مع المغرب.[82] سيبدأ هارت إقامته التي دامت أكثر من عشر سنوات في المغرب أثناء استكمال دراساته العليا في الأنثروبولوجيا في جامعة بنسلفانيا، تحت إشراف الدكتور كارلتون كون وهو عالم أنثروبولوجيا ربما عرف اليوم أكثر بإسهاماته في ما يسمى العلموية العرقية[83]، وقد موّل عمله الميداني من خلال عمله كجاسوس لصالح الحكومة الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية.[84] وعلى الرغم من عدم وجود دليل على أن هارت كان يعمل أيضاً كمخبر إلا أنه عمل بشكل وثيق مع أحد مراقبي القوات الاستعمارية الإسبانية، النقيب خوسيه رودريغيز إيرولا. ومن المؤكد أن قيام علماء الأنثروبولوجيا بإجراء بحوثهم بالتعاون مع المؤسسة العسكرية كان ظاهرة شائعة منذ نشأة هذا التخصص.[85] بالإضافة إلى ذلك، خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها مباشرة، كان علماء اللسانيات وغيرهم من علماء الاجتماع في كثير من الأحيان ملحقين بالمؤسسة العسكرية.[86]

في قصة شمال أفريقيا: عالم الأنثروبولوجيا كعميل لمكتب الخدمات الاستراتيجية[87] 1941-1943، يسرد كون تفاصيل أعماله السرية في جميع أنحاء شمال أفريقيا، والتي شملت كما هو مذكور في وسام الاستحقاق الذي حصل عليه "تهريب الأسلحة النارية والمتفجرات إلى جماعات المقاومة الفرنسية" بالإضافة إلى

[79] تمكنت من التأكد من شهادة هارت من خلال نعي على موقع جامعة برينستون على الإنترنت (https://aw.princeton.edu/memorial/david-montgomery-hart-'48)

[80] على وجه التحديد، تابلاين (خط أنابيب لنقل النفط يمتد من القيصومة شمال المنطقة الشرقية من السعودية حتى ميناء صيدا في جنوب لبنان، وهو أكبر خط نفطي في العالم إذ يبلغ طوله 1664 كيلو مترا من الخليج العربي حتى البحر الأبيض المتوسط، وهو معبر نقل النفط من السعودية إلى أوروبا والولايات المتحدة الأميركية.)، في قسم العلاقات الحكومية المحلية.

[81] من ديفيد م. هارت إلى روس دن، 28 أكتوبر 1969، مجموعة خاصة؛ ومن ديفيد م. هارت إلى روس دن، نوفمبر 1969، مجموعة خاصة؛ ومن ديفيد م. هارت إلى روس دن، 20 نوفمبر 1970، مجموعة خاصة؛ ومن ديفيد م. هارت إلى روس دن، 13 يناير 1976، مجموعة خاصة؛ ومن ديفيد م. هارت إلى روس دن، 31 أكتوبر 1981، مجموعة خاصة؛ ومن ديفيد م. هارت إلى روس دن، 3 أكتوبر 1985، مجموعة خاصة؛ ومن ديفيد م. هارت إلى روس دن، 27 شتنبر 1988، مجموعة خاصة.

[82] Hart “Conferencia inaugural,” 77-109.

[83] العلموية العرقية مصطلح يتردد كثيرًا ولكن نادرًا ما يتم تعريفه. تشير العلموية إلى "الاعتقاد بأن مناهج العلوم الطبيعية، أو الفئات والأشياء المعترف بها في العلوم الطبيعية، تشكل العناصر الوحيدة الصحيحة في أي بحث فلسفي أو غيره"، كما هو معرّف في قاموس أكسفورد للفلسفة ضمن سايمون بلاكبيرن، قاموس أكسفورد للفلسفة، الطبعة الثالثة (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، [1996] 2016)، ق.م. "العلموية". تعني العلموية العرقية، في استخدامها من وجهة نظري، تطبيق مناهج العلوم الطبيعية على دراسة فئة أفهم أنها مشكّلة اجتماعيًا بالكامل - العرق. يبدو أن هذا هو المعنى الضمني المستخدم في العديد من المقالات الأكاديمية حول موضوع العلموية العرقية وعلم تحسين النسل، مثل، ماريوس توردا، "دين جديد؟ Eugenics and Racial Scientism in Pre-First World War Hungary," Totalitarian Movements and Political Religions 7, no. 3 (2006): 303-325، و أتيلا كوند، "'واجبات من أجل عرقها وأمتها': آراء العلموية العرقية حول الجنسانية والإنجاب في هنغاريا في عشرينيات القرن العشرين،" Sexualities 19, no. ½ (2016): 190-210

[84] للمزيد من التفاصيل حول تجربته كجاسوس، انظر كارلتون كون، قصة شمال أفريقيا: عالم أنثروبولوجيا كعميل لمكتب الخدمات الاستراتيجية 1941-1943. (إبسويتش: مطبعة غامبيت، 1980)

[85] سوزان سليوموفيتش، ""شُنق الجاسوس الإثنولوجي، في ذلك الوقت كنا متوحشين نوعًا ما: الأنثروبولوجيا في الجزائر مع حبيب تنغور." b2o 34، (دجنبر 2018): 6 (تم تنزيله PDF من ملف)؛ ويتحدث لورسين أيضًا عن تشابك النشاط العسكري والعلوم الاجتماعية في الجزائر منذ بداية الاستعمار: "عمل العسكريون ككشّافين وجامعين للمعلومات، التي وجدت طريقها بعد ذلك إلى أيدي العلماء في فرنسا لاستخدامها لأغراضهم الخاصة، أو قاموا بالبحث وإنتاج أعمال خاصة بهم.... وبالتالي، كانت العلاقة بين العسكريين والباحثين والأكاديميين في فرنسا علاقة وثيقة في كثير من الأحيان. وقد شهد على ذلك عالم الأنثروبولوجيا كاتر-فاج، وهو واحد من العديد من الأكاديميين الذين شاركوا في ذلك، في عام 1867... كتب "لقد رافق الباحث الجندي، وكان التحالف مثمرًا..." (لورسين، الهويات الإمبراطورية، 118).

[86] انظر ليندا تامورا، جنود نيسي يكسرون صمتهم: العودة إلى الوطن إلى هود ريفر (سياتل: مطبعة جامعة واشنطن، 2012)؛ ومارك سولوفي وهاميلتون كرافينز، العلوم الاجتماعية أثناء الحرب الباردة: إنتاج المعرفة والديمقراطية الليبرالية والطبيعة البشرية (نيويورك: بالجريف ماكميلان، 2012).

[87] سلف وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية

"[توريط] السكان المحليين في خدمة قضية الحلفاء. "[88] ويذكر هارت، في خطاب أعده قبيل نهاية حياته، أنه بفضل ما وفره له الكابتن إيرولا من فرص الوصول إلى المعلومات تمكن من 'ملء' الفراغات في "بياناته الإثنوغرافية."[89] اختار هارت الريف كموقع ميداني له في مارس من عام 1953 بعد أن قضى شهرين في مكتبة المحمية الإسبانية في تطوان، بترخيص من توماس غارسيا فيغيراس، الذي كان آنذاك مندوباً عن إدارة الشؤون الأهلية .[90] وكان كون قد نصح هارت أيضًا باختيار المغرب الخاضع للاستعمار الإسباني لأنه كان يعتقد أنه سيواجه صعوبة في الحصول على تصريح لعمله من الحكومة الاستعمارية الفرنسية.[91] وبعد أشهر من الاستكشاف في المنطقة، حصل هارت على تصريح رسمي من الحكومة الاستعمارية الإسبانية للقيام بعمل ميداني.[92] ثم دعاه النقيب إيرولا، الذي التقى به هارت أثناء عمله كمراقب في قرية أخرى، للانضمام إليه في موقعه الجديد في قبيلة آيث عمارث إلى الجنوب الغربي من آيث ورياغر.[93] ومن المفيد الإشارة إلى حجم التأثير الذي مارسه الكابتن إيرولا ليس فقط في حصول هارت على مخبر شاب في الثانية والعشرين من عمره وذو التزامات عائلية كبيرة,[94] بل أيضًا في إشراك آخرين في بحث هارت. وبما أن كتابات هارت المنشورة لم تذكر الكثير من التفاصيل حول هذه العلاقات، فإن رسائله تمثل إضافة مهمة. وأخيرًا، امتد تعاونه مع إيرولا إلى نشر مقال مشترك "الأخلاق الريفية" (علماً بأنهما كانا ينويان إصدار كتاب كامل أيضاً).[95]

من الواضح أن درجة التعاون مع الأجهزة والسلطات العسكرية تفاوتت وتباينت باختلاف الأفراد. تسلط سليوموفيتش الضوء، على سبيل المثال، على أن بيير بورديو استخدم خبرته (السابقة) في الجيش الفرنسي للتوعية بالفظائع التي نتجت عن "أكبر برامج إعادة التوطين الاستعمارية [التي] حدثت في الجزائر زمن الحرب (1954-1962)."[96] وقد بدأت الانتقادات لكتابات بورديو مباشرةً حيث تم حظر الكتاب الذي شارك في تأليفه مع عبد المالك صياد حول هذا الموضوع (الاجتثاث) إلى فترة ما بعد حرب التحرير الجزائرية.[97] سنوات بعد ذلك، عندما أطلق محمد الصديق بن يحيى، وزير التعليم العالي والبحث العلمي آنذاك (1971-1977)، حملته من أجل "إنهاء استعمار العلوم الاجتماعية"، بالتزامن مع "إعادة نشر نقدية لإثنوغرافيا الحقبة الاستعمارية"، كان بورديو "يُعتبر رقماً أساسياً."[98]

إن الدرجة التي يتطابق فيها التعاون البحثي بين هارت (وكون) والمسؤولين العسكريين (أو الأجهزة العسكرية) مع الأجندات المناهضة للاستعمار أو العنصرية في المنطقة أقل وضوحًا. بالتأكيد، لم يتم حظر

[88] Coon, A North Africa, 137-8.
[89] Hart, "Conferencia inaugural," 96.
[90] Hart, "Conferencia inaugural," 85.
[91] Hart, "Conferencia inaugural," 85.
[92] Hart, "Conferencia inaugural," 88.
[93] Hart, "Conferencia inaugural," 88.
[94] ويذكر هارت أن والد أزكواغ الذي كان قائداً سابقاً، سواء في عهد بن عبد الكريم الخطابي أو خلال فترة الحماية الإسبانية، كان قد توفي، وكان "لأزكواغ ثلاث زوجات وبضعة أطفال على الأقل عندما التقيا لأول مرة. هارت، "Conferencia inaugural," 96.
[95] هارت، ديفيد وخوسيه رودريغيز إيرولا، "الأخلاق الريفية"، ضمن موسوعة الأخلاق، فيرجيليوس فيرم (نيويورك: المكتبة الفلسفية، 1956)، 481-490.
[96] Slyomovics, "The Ethnologist-Spy," 5.
[97] Le déracinement.
[98] Slyomovics, "The Ethnologist-Spy," 6-7.

كتابيهما، لكن هذه ليست الطريقة الوحيدة لقياس أهميتهما بالنسبة للحركات السياسية المعاصرة. بالنسبة لكون، تشير سليوموفيتش إلى أنه تبرأ صراحةً من الوطنيين المغاربة بعد عقود من الاستقلال عند كتابة مذكراته عام 1980: "لقد توصلت إلى استنتاج مفاده أن الوطنيين، مهما كانوا شرفاء ومهما كانت طموحاتهم ومُثُلهم جديرة بالاهتمام، لم يكونوا رجال ميدان ... لذلك ركزنا على أصدقائنا في الشمال وتركنا الحالمين وشأنهم."[99]

وبالمثل، بدأ هارت في نهاية حياته يتحدث بصراحة أكبر عن مواقفه السياسية. ففي مقاله الشهير بعنوان "اخدش مغربياً، تجد أمازيغياً"، الذي نشر في مجلة دراسات شمال أفريقيا عام 1999، ضمّن هارت حجته حول التركيبة العرقية لشمال أفريقيا (كونها "أمازيغية" أكثر من كونها "عربية") دعمه للحركة الثقافية الأمازيغية المتنامية:

على الرغم من أن العرب والأمازيغ عاشوا جنباً إلى جنب في المغرب الكبير لأكثر من ألف عام، إلا أنه من الواضح تماماً أن العنصر الأمازيغي هو أكثر بكثير من مجرد بقايا. بل هو في الواقع قاعدة الصرح الشمال إفريقي بأكمله، ولا يزال كذلك بقوة حتى اليوم، لدرجة أنه يمكن للمرء أن يقول: اخدش مغربيا، تجد أمازيغيًا. من وجهة نظري، لا يوجد شيء سياسي، أو لا يوجد شيء سياسي معلن، بشأن الحركة اللغوية والثقافية الأمازيغية، لأنها حركة سلمية بشكل بارز في نواياها. وفي الآونة الأخيرة أيضاً، أصبح موقفها مناهضاً للأصولية أيضاً، نظراً للصعود غير المسبوق للتيار الإسلامي في الجزائر وحالة الحرب الأهلية الحالية بينه وبين الحكومة. إن ما تريده الحركة وما يجب أن تحصل عليه في رأيي هو الاعتراف الرسمي في كلا البلدين، الجزائر والمغرب، بحكم أن ذلك منصوص عليه في دستوريهما. ويبدو أن هذه تطلعات مشروعة تمامًا، ولا يسع المرء إلا أن يأمل في أن تتحقق قريبًا.[100]

وعلى النقيض مما هو مكتوب هنا، تُظهر رسائل هارت أن دعمه لحقوق الأمازيغ امتدّ، على الأقل في بعض الحالات، إلى المجال "السياسي" السيادي الأكثر وضوحًا، حيث ذكر لإدموند بيرك الثالث في 23 نوفمبر 1995،" إنني أخيرًا أنضم إلى صفوف الأمازيغ ذوي الأفكار الجهوية، إن لم يكن القوميين."[101] ما أجده مثيرًا للاهتمام بالنسبة لكل من كون وهارت هو أن "أصدقائهما في الشمال" هم أيضًا الجماعات التي يراها كل كاتب من الكاتبين على أنها الأقرب إلى كل منهما. فقد أقام كلاهما علاقات وثيقة مع مرشدين وباحثين من الجماعات الأمازيغية (البيضاء) ووصفوا هذه الجماعات بأنها تشبه من الناحية الفيزيولوجية والاجتماعية والسياسية المجموعات الأورو-أميركية، كما سنناقش ذلك بإسهاب أدناه.

بالطبع، كان قدر معين من التعاون مع المسؤولين العسكريين ضروريًا لأي باحث لإجراء بحوثه في شمال أفريقيا خلال الفترة الاستعمارية و، على الأقل في العقود القليلة الأولى بعد الاستقلال، نظرًا لأن تراخيص البحث كانت شرطًا ضروريًا قبل الدخول إلى الميدان. ومع ذلك، فإن الحجج المتعلقة بمدى " اعتدال" أو

[99] Carleton Coon, Adventures and Discoveries: The Autobiography of Carleton S. Coon (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1981)مقتبس في ، Susan Slyomovics, "State of the State," 8.
[100] David Hart, "Scratch a Moroccan, Find a Berber," The Journal of North African Studies 4, no. 2 (1999): 26.
[101] ديفيد م. هارت إلى إدموند بيرك، الثالث، 23 نوفمبر 1995، مجموعة خاصة.

عدم إمكانية تجنب هذه العلاقات المتشابكة، تتعقد عندما يتم إيلاء اهتمام خاص للعواقب (والفوائد) التي ترتبت عنها بالنسبة للمتعاونين المحليين نتيجة عملهم مع علماء الأنثروبولوجيا الأوروبيين والأمريكيين. علاوة على ذلك، عندما يأخذ المرء في الحسبان الأسس النظرية القائمة على العرق في كتابات هارت، الخاصة والعامة على حد سواء، كما سيتم مناقشته أدناه، فإن مسألة من يستفيد من هذه البحوث ربما تصبح أقل وضوحًا.

وبمجرد استعراض عناوين كتبه - "أعراق أوروبا" (1939)، و"أصل الأعراق" (1962)، و"التكيفات العرقية" (1982) - يتضح إيمان كون بالعرق كحقيقة بيولوجية وليس كبناء اجتماعي، وهذا بالتأكيد ليس غريبًا بالنظر إلى تركيزه على الأنثروبولوجيا الطبيعية طوال حياته المهنية. فمعظم علماء الأنثروبولوجيا، حتى وقت قريب إلى حد ما، كانوا مدربين في مجال الأنثروبولوجيا الطبيعية.[102] وكانت الأسس الأيديولوجية التي قامت عليها، كما يلاحظ مايكل ل. بلاكي، راسخة بقوة في مفاهيم التفوق العرقي، وإيجاد "مبررات بيولوجية للتفاوت الاجتماعي."[103] وحتى قبل إضفاء الطابع المؤسسي على الأنثروبولوجيا الطبيعية، ساعد الطلاب الجامعيين الذين يتابعون دراساتهم في مستويات ما قبل التخصص في الأنثروبولوجيا الطبيعية "في تبرير العبودية وغياب المساواة العرقية باستخدام مقارنات القحف التي كانت لصالح قدرات القحف والذكاء الأوروبي والأميركي. "[104] ومع قدوم الدارسين المحترفين في أوائل القرن العشرين، عززت الأنثروبولوجيا الطبيعية الفكرة التي أصبحت الآن مكشوفة بأن التفاوت الاجتماعي كان محددًا بيولوجيًا، واعتبرت نتيجة لاختلاف مستويات التطور بين الأعراق.[105] وعلاوة على ذلك، دمج بعض العلماء مثل أليش هردليكا، صراحة بين الأنثروبولوجيا الطبيعية وعلم تحسين النسل، مشيرًا إلى أن الأخير كان مجرد تطبيق للأولى في الحياة اليومية.[106] ويجد بلاكي أيضًا، وربما بشكل غير مفاجئ، أن علماء الوراثة التطورية وعلماء الأنثروبولوجيا الطبيعية كانوا محميين مؤسساتياً في الولايات المتحدة، حيث حصلوا على تمويل ومناصب في مجالس مهمة، مثل المجلس القومي للبحوث، في حين أن المعارضين، أي علماء الأنثروبولوجيا الثقافية الذين يعتبرون جزءًا من المدرسة البواسيوية[107]، لم يحصلوا على دعم مالي من النخبة الصناعية.[108]

---

[102] بالنسبة لأولئك الذين قد يكونون أكثر إلمامًا بمجالات البحث الفرنسية، فإن الأنثروبولوجيا الطبيعية بالمعنى الأمريكي (والبريطاني) إذا ما اعتبرت في كثير من الأحيان "أنثروبولوجيا" بحسب المدرسة الفرنسية، في حين أن "البحث الميداني التجريبي في العلوم الإنسانية يعد 'إثنولوجيا' في فرنسا، ونظيره في إنجلترا هو 'الأنثروبولوجيا الاجتماعية' و'الأنثروبولوجيا الثقافية' في الولايات المتحدة" (سليوموفيتش، " عالم الإثنولوجيا- الجاسوس" 7).

[103] مايكل ل. بلاكي، "أطباء الجماجم: التحيز الاجتماعي والسياسي المتأصل في تاريخ الأنثروبولوجيا الطبيعية الأمريكية"، نقد الأنثروبولوجيا 7، رقم 2. (1987): 9

[104] بلاكي، "أطباء الجماجم"، 9.

[105] بلاكي، "أطباء الجماجم"، 10.

[106] أليش هردليكا، "المحاضرة رقم 27" (محاضرة، الجامعة الأمريكية، 27 مايو 1921)، 16 و""الأنثروبولوجيا الطبيعية: نطاقها وأهدافها؛ تاريخها ووضعها الحالي في أمريكا"، المجلة الأمريكية للأنثروبولوجيا الطبيعية 1، منقول في بلاكي، "أطباء الجماجم"، 13.

[107] كانت الأنثروبولوجيا البواسية مدرسة داخل الأنثروبولوجيا الأمريكية أسسها فرانز بواس في أواخر القرن التاسع عشر. وقد استندت هذه المدرسة إلى فهم الثقافات البشرية على أنها قابلة للتطويع والاستدامة من خلال التعلم الاجتماعي، وفهمت الاختلافات السلوكية بين الشعوب على أنها منفصلة إلى حد كبير عن الاستعدادات الفطرية النابعة من البيولوجيا البشرية وغير متأثرة بها - وبهذه الطريقة رفضت وجهة النظر القائلة بأن الاختلافات الثقافية كانت في الأساس قائمة على أساس بيولوجي. كما رفض أيضًا أفكار التطور الثقافي التي صنفت المجتمعات والثقافات وفقًا لدرجة "تطورها"، بافتراض وجود مسار تطوري واحد يمكن ترتيب الثقافات على أساسه بشكل هرمي، بل اعتبر بواس أن المجتمعات المتفاوتة التعقيدات هي نتيجة عمليات وظروف تاريخية معينة - وهو منظور يوصف بالخصوصية التاريخية.

[108] بلاكي، "أطباء الجماجم"، 23-4.

تداخل تركيز كون الأكاديمي على العرق مع قناعاته الشخصية، وبالتحديد علاقته العملية الوثيقة مع المنظمات التي تدعو إلى تحسين النسل ودعاة الفصل العنصري في الولايات المتحدة. من خلال قراءة دقيقة لأوراق كون الخاصة ومراسلاته، يكشف جون ب. جاكسون الابن عن "مراسلات كثيرة " مع "رجل الأعمال الذي تحول إلى داعية فصل عنصري كارلتون بوتنام" والذي هو أيضًا ابن عم كون.[109] كتب بوتنام على نطاق واسع، سواء في وسائل الإعلام الوطنية أو عبر حملات كتابة الرسائل الوطنية، داعيًا إلى الفصل العنصري مستخدمًا العلموية العرقية[110]، بما في ذلك أعمال كون لتبرير عنصريته، بينما كان يأسف لظهور الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية التي تبرأت إلى حد كبير من العلموية العرقية. على سبيل المثال، كانت لغة بوتنام، التي رثى فيها ما يسمى بـ " المساواتية"، على الأرجح نتاج علاقته بالرابطة الدولية للنهوض بعلم الأعراق وتحسين النسل، وهي منظمة أنشأها العديد من العلماء، بمن فيهم زملاء مقربون من كون الذين لم يشتغلوا فقط وفق أطروحات العلموية العرقية، بل دافعوا بنشاط عن سياسات تحسين النسل (نقاء العرق).[111] في الواقع، دُعي كون للانضمام رسميًا إلى المنظمة مرتين، ولم يرفض الانضمام إليها إلا بسبب الخوف من العواقب، وليس بسبب اختلافه الجوهري مع الافتراضات العنصرية والمتحيزة جنسيًا ضد المرأة في مجال تحسين النسل: "... سعيد جدًا بالحصول على أبحاثكم و مجلتكم... إن قبول العضوية في مجلس إدارتكم سيكون بمثابة قبلة الموت، هنا في ما يسمى بأرض الأحرار..."[112]

بالتأكيد، لم يكن هارت عالم أنثروبولوجيا طبيعية ولم يدّعِ قط أنه كذلك. في مقابلة مع الباحث الريفي رشيد راخا (وهو أيضاً زميل مقرب من هارت) وعالم الأنثروبولوجيا الإسباني خوسيه أنطونيو غونزاليس ألكانتود، سأل راخا هارت مباشرة "لماذا تحولت من الأنثروبولوجيا الطبيعية إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية؟"[113] صحح هارت لراخا قائلاً إنه لم يكن أبداً " منخرطاً في الأنثروبولوجيا الطبيعية: "لقد كنت أتابع دراستي بالمعنى الاجتماعي والثقافي فقط مع كون وليس بالمعنى الصحيح للأنثروبولوجيا الطبيعية."[114] ومع ذلك، لا يتخلى غونزاليس ألكانتود عن هذا الموضوع، حيث يذكر أنه "في مجال الدراسات الأمازيغية... تلعب الأنثروبولوجيا الطبيعية دورًا مهمًا، حيث أنها [الدراسات الأمازيغية] أرادت دائمًا إقامة روابط مادية بين بعض السكان الأوروبيين، مثل الباسك، والعالم الأمازيغي".[115] ثم يطلب غونزاليز ألكانتود من هارت التعليق على أهمية إرث الأنثروبولوجيا الطبيعية في السياق المعاصر. يكشف رد هارت أنه في وقت إجراء المقابلة في مايو 1994، كان لا يزال يحمل بعض الآراء المستمدة من الأنثروبولوجيا الطبيعية

---

[109] Jackson Jr., "'In Ways Unacademical,'" 250.

[110] هي اعتقاد علمي زائف بوجود دليل تجريبي أو استعمال التقنيات والفرضيات العلمية ظاهريًا لدعم وتبرير الاعتقاد بتفوق عنصر بشري ما على آخر.

[111] Jackson Jr., "'In Ways Unacademical,'" 253.

[112] ، E-K" ، وغاير إلى كون، 13 يناير 1960، الصندوق 9، المجلد"، A-G1962" كون إلى روبرت غاير، 6 نوفمبر 1962، الصندوق 11، الملف أوراق كون، نقلاً عن جاكسون الابن، '' في أساليب غير "، A-G،1962" ، وغاير إلى كون 29 أكتوبر 1962، الصندوق 11، الملف"1960 أكاديمية، "254.

[113] José Antonio González González Alcantud, "Saber antropológico y resistencias culturales: ديفيد مونتغومري هارت [المعرفة الأنثروبولوجية والمقاومة الثقافية: ديفيد مونتغومري هارت]" في Las palabras y las culturas: catorce diálogos humanísticos en clave antropológica [الكلمات والثقافات: أربعة عشر حوارًا إنسانيًا في الشفرة الأنثروبولوجية]، تحرير خوسيه أنطونيو غونزاليس ألكانتود، (غرناطة: جامعة غرناطة، 2007)، 94. أوصي بشدة بهذا المجلد لأي شخص مهتم بالأنثروبولوجيا الإسبانية والمغربية. ويتضمن مقابلة مع عبد الله حمودي أيضًا.

[114] González Alcantud, "Saber antropológico," 94.

[115] González Alcantud, "Saber antropológico," 94.

في تقسيمها للعالم إلى أعراق بيولوجية: "أن الريفيين هم الذين يملكون أعلى نسبة في المغرب كله من أصحاب الشعر الأشقر والعيون الفاتحة. وهذه الخصائص موجودة في جميع أنحاء المغرب، ولكنها تتركز في الريف، وبدرجة أقل في منطقة القبائل في الجزائر". [116]

والأهم من ذلك أن هارت لم يتنصل علنًا من آراء كون على حد علمي، واستمر في استخدام البيانات النظرية والإثنوغرافية لأستاذه دون الاعتراف بالافتراضات العنصرية الواردة فيها طوال حياته المهنية. في الواقع، حافظ الاثنان على علاقة وثيقة حتى وفاة كون كما يمكن توضيح ذلك أيضًا من رسائل هارت.[117] على سبيل المثال، في 10 شتنبر 1973، يعترف هارت بصحة حجة كون بشأن "عدم نقاء" جماعات الحراطين، معتمدًا على افتراض أن فئة العرق المبنية اجتماعيًا يمكن إثباتها بقياس العلامات الجسدية، على غرار رده على غونزاليس ألكانتود، المذكور أعلاه: "يعتقد كون أنهم نتاج امتزاج بين سلالة قديمة جدا وسلالة حديثة جدا: البوشمان البدائيون الذين يعودون على الأرجح إلى العصر الحجري القديم والزنوج المعاصرون... أعتقد أننا جميعا متفقون... على أن الحراطين ليسوا بأي حال من الأحوال سودا أقحاحا."[118]

في كتابات هارت المنشورة، كان كون حاضرًا بأشكال متعددة. وربما كان من غير المستغرب، بالنظر إلى موقع كون كأستاذ لهارت، أن يكتب مقدمة كتاب " آيث ورياغر قبيلة من الريف المغربي": دراسة إثنوغرافية وتاريخية (1976)، ووردت عبارات الامتنان في حقه في قسم العرفان الذي تضمنته دراسته الإثنوغرافية الأخرى "دادا عطا وأحفاده الأربعون: التنظيم الاجتماعي السياسي لآيت عطا في جنوب المغرب". [119]في المقدمة القصيرة ذات الصفحة الواحدة، لا يعلق كون كثيرًا على الإطار النظري الخاص به أو بهارت، وبدلًا من ذلك، يقدم كتاب هارت على أنه "إعادة صياغة" أكثر شمولًا لأبحاث كون نفسه، مشيرًا إلى أن اهتمام هارت بالريف بدأ بقراءته لأعمال كون وكذلك كتب فنسنت شيان.[120]

وبما أن هارت، كما ذكرنا سابقاً، لم يشتغل هو نفسه بالأنثروبولوجيا الطبيعية، فإن الإحالات إلى أعمال كون تأخذ أحياناً شكل توجيه للقارئ فيما يتعلق بالسمات العرقية التطورية للأشخاص قيد الدراسة. خذ على سبيل المثال التعليقات التالية التي تفتتح قسم" إشكاليات الأصول الأمازيغية" في كتاب آيث ورياغر: "إن جزءًا واحدًا على الأقل من مضمون النتائج التي توصل إليها كارلتون س. كون حول الأصول الأمازيغية هو أن

---

116 González Alcantud, "Saber antropológico," 94.

117 انظر الرسائل التالية للاطلاع على النقاشات حول عمل كون وعلاقة هارت المستدامة مع كون وعائلته الممتدة، بما في ذلك ابن كون الذي كان يعمل في السفارة الأمريكية في الرباط. ديفيد م. هارت إلى روس دن، 30 نوفمبر و1 دجنبر 1969، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 19 يناير 1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 24 مارس 1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 7 مايو 1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 25 شتنبر 1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 9 يناير 1971، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 5 يناير 1976، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 25 شتنبر 1981، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 9 نوفمبر 1981، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 26 شتنبر 1985، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 9 نوفمبر 1990، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 21 مايو 1995، مجموعة خاصة؛ وديفيد م. هارت إلى روس دن، 12 ديسمبر 2000، مجموعة خاصة.

118 ديفيد م. هارت إلى روس دن، 10 شتنبر 1973، مجموعة خاصة.

119 كارلتون كون، "مقدمة"، في آيث ورياغر قبيلة من الريف المغربي: دراسة إثنوغرافية وتاريخية، بقلم ديفيد هارت مع مقدمة بقلم كارلتون كون (توسون: مطبعة جامعة أريزونا، 1976)، xiii؛ وديفيد هارت، دادا عطا وأحفاده الأربعون: التنظيم الاجتماعي السياسي لآيت عطا في جنوب المغرب، (كامبريدج: مطبعة دراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، المحدودة، 1981)، viii.

120 كون "المقدمة"، xiii. ويستشهد كون تحديدًا بكتاب التاريخ الشخصي لشيان (1935) و"أمريكي بين الريفيين" (1926). كان فنسنت شيان (1899- 1975) كاتباً وصحفيًا أمريكيًا.

العيون الزرقاء والنمش العرضي والشعر الأحمر والفكين المربعين والشفاه العليا ’الأيرلندية‘ الطويلة “ لدى العديد من الريفيين في الريف الأوسط لا يمكن تفسيرها على الإطلاق بوصول شعوب متأخرة زمنيًا مثل الوندال. ”[121] ثم ينتقل بعد ذلك ليقتبس “بإسهاب" وجهات نظر كون حول البيئة الإيكولوجية لشمال إفريقيا ابتداءً من حوالي 10,000 سنة قبل الميلاد، حيث يذكر كون دون أدنى تحفظ أن المجتمعات الأمازيغية تربطها علاقة قرابة بالأوروبيين (البيض): "في ذلك الوقت [حوالي 10,000 سنة قبل الميلاد]، ظهر نوع جديد من البشر في شمال إفريقيا. كان من النوع الأوروبي (القوقازي) وأحد أسلاف الأمازيغ، وربما سلفهم الرئيسي." [122]وقد تم التفريق بين هذا ’النوع‘ وبين النوع ’المتوسطي‘ (أي ’العربي‘) و“ الحامي" (أي ’الأسود‘) باستخدام بيانات مستوحاة من علم فراسة الدماغ[123]: "تُظهر هذه الهياكل العظمية أشخاصاً طويلي القامة وذوي عظام ضخمة وعضلات مفتولة مع قحف دماغية كبيرة وحواجب ضخمة ووجوه مسطحة وذقون بارزة. ويمكن ملاحظة هذا النوع في الأمازيغ الحاليين." [124]من المؤكد أن هارت لا يسهب كثيراً في الحديث عن الخصائص الفيزيولوجية للأمازيغ الذين قابلهم، بل يكتفي بملاحظة تفاوت أكبر في ”الشقرة“ مقارنة بـ”كون“، ومع ذلك يتفق في النهاية على أنهم ”برؤوسهم الطويلة ووجوههم العريضة (ما يسميه كون “غياب الانسجام القحفي”) ونمشهم وشفاههم العلوية الطويلة، يبدو الكثير من الريفيين ’إيرلنديين‘ بلا شك: ومثل الإيرلنديين، فإن الريفيين براغماتيون إلى حد كبير، مجادلون ومشاكسون.“[125]

كما أن هناك أمثلة على تبني هارت لتصورات كون للأنظمة السياسية الريفيّة، وليس فقط تركيبتها العرقية المفترضة. على سبيل المثال، يبدأ هارت قسم ”العرف والشرع ونظام المجالس التمثيلية الفوقية“ مؤكداً أن النموذج الذي وضعه أستاذه للنظام السياسي في المنطقة لا يزال صالحاً: ”وفقًا للنموذج الذي وضعه كون للنظام السياسي لقبائل الريف الأوسط بشكل عام، كان المجلس التمثيلي....، خلال فترة الريفوبليك هو الهيئة السياسية، وهو مؤسسة ثلاثية المستويات موجودة على مستوى الجماعة المحلية....؛ وعلى مستوى العشيرة أو ”الخمس“....؛ وأخيرًا على مستوى القبيلة ككل.“[126] وبالمثل، وبعد سنوات عديدة، سيؤكد هارت أيضًا أن عمل كون حول الأنساب الريفية لا يزال ” صالحاً.“[127] ويسلط هارت الضوء على ما يلي على وجه الخصوص ”كانت كل قبيلة [ريفيّة] مركبة، من عدد أكبر أو أقل من العناصر ”الدخيلة“ المتراكمة، ولكن كان لكل منها أيضاً نواة محلية وأصلية واضحة المعالم.“[128] ويبدو أن هارت وكون يتفقان على أن القبائل الريفية ”هي بلا شك من بين أقدم القبائل في البلاد.“ [129]وأخيراً، وفي وقت لاحق من حياته، وبعد أن خاب أمله في الأنثروبولوجيا، يشير هارت إلى كون مباشرة عندما يقول أن الدراسة الإثنوغرافية الجيدة لا يمكن

---

[121] Hart, Aith Waryaghar, 342..

[122] Hart, Aith Waryaghar, 342.

[123] فراسة الدماغ (Phrenology) أو الحِصَافة علم قديم يقوم على أساس تقسيم الدماغ إلى ملكات فكرية، وتكون كل ملكة مسؤولة عن صفة معينة مع اعتبار أن الجمجمة تتكيف مع حجم الدماغ يفترض في الفرينولوجيا أن الملكة المسؤولة عن الغدر مثلا ستكون دافعة للجمجمة مما سيؤدي لبروزها ومعرفة أن منطقة الغدر كبيرة عند هذا الشخص.

[124] Hart, Aith Waryaghar, 342.

[125] Hart, Aith Waryaghar, 343.

[126] Hart, Aith Waryaghar, 283.

[127] David Hart, “Origin myths, autochthonous and ‘stranger’ elements in lineage and community formation, and the question of onomastic recurrences in the Moroccan Rif,” The Journal of North African Studies 4, no. 2 (1999): 132.

[128] Hart, “Origin myth,” 132.

[129] Hart, “Origin myth,” 132.

أن تنجز إلا على مجتمعات ساكنة: "... ولكي يتمكن الباحث من إنتاج إثنوغرافيا شبه لائقة لا بد من وجود سكون معين داخل المجتمع قيد الدراسة، أي أنه [يحتاج] إلى أن تجرى دراسته وهو "في حالة سكون مؤقت"." [130]ما يبدو واضحًا في جميع إحالات هارت إلى أعمال كون في كتاباته المنشورة هو الرؤية المشتركة للمجتمعات الريفية (وربما الأمازيغية عمومًا) باعتبارها مجتمعات موحدة عرقيًا واجتماعيًا وسياسيًا ونسبًا.

والأهم من ذلك، أن هناك سلسلة طويلة من الاهتمام الأورو-أمريكي بالمجتمعات الأمازيغية استنادًا إلى القرابة الاجتماعية والسياسية والعرقية المفترضة مع الجماعات التي تعتبر بيضاء. وبالنسبة لدعاة العلموية العرقية مثل كون واستاذه إرنست هوتن، استند البحث في هذه المجتمعات إلى الرغبة في تفسير نظريات التطور العرقي على أساس فرضية أن العرق مفهوم بيولوجي وليس مجرد صناعة اجتماعية. في مقدمة كتاب " قصة شمال افريقية"، يوصف الريفيون بأنهم إشكالية "علمية" لجمهور أورو-أمريكي واسع، كان يصنف القارة الأفريقية بأكملها على أنها سوداء: "... في أوائل العشرينيات... أصبح [كون] مفتونًا، كما كان هوتن، بالتقارير التي تتحدث عن قبائل أفريقية يفترض أنها ذات أصل شمال أوروبي... قرر كون أنه سيحل الإشكالية العلمية المتعلقة بالريفيين." [131]في الواقع، إن تصنيف المجتمعات الأمازيغية على أنها بيضاء سبق كل من كون وهوتن. فابتداءً من أوائل القرن التاسع عشر، بدأ الأمريكيون في إدخال منطق اللون، الذي يستحضر المجتمع الاستيطاني الطبقي العنصري في الولايات المتحدة، في سياقات شمال أفريقية. يشير الرويغي إلى أن ويليام شالر، القنصل الأمريكي العام في الجزائر آنذاك، سيصف الأمازيغ بأنهم "بيض" في كتابه " مشاهد من الجزائر" (1826): "... الأمازيغ... إنهم جنس من الرجال البيض"،[132]ويضيف الرويغي: "كان شالر يقصد أن الأمازيغ ليسوا زنوجاً." [133]ووفقًا للرويغي، فإن " خلدنة مصطلحات المعارف عن المغارب" هي التي روّجت هذه السردية العرقية.[134] ، فالخلدنة في جوهرها هي العملية التي أصبحت من خلالها كتابات ابن خلدون النصوص الوحيدة المعتمدة لدراسة شمال إفريقيا في العصر الوسيط.[135] وقد بدأ ذلك مع الترجمات التي ظهرت في القرن التاسع عشر (أولاً من قبل المستشرقين الفرنسيين)، والتي

---

[130] هارت، "Luchas hereditarias..."، 165-66. المقطع الأصلي في كتاب كون " Caravan: The Story of the Middle East" هو كما يلي: "لا يمكننا أن نفهمها [حضارة الشرق الأوسط] بشكل جيد، أو بسرعة كبيرة، إذا ركزنا على تعقيدات شارع الرشيد في بغداد، أو منطقة الجيزة في القاهرة، أو ساحة الحرية في الدار البيضاء. يجب أن نخرج من الشارع المرصوف بأبواق سياراته وصالات السينما ونتوجه إلى أعماق البازار، والأفضل من ذلك أن نتجول في قرية ريفية بعيدة عن الطريق، أو بين خيام الرعاة في المروج العليا، أو في مخيم البدو. ولكن حتى هذه قد طالها الضرر إلى حد ما. يجب أن نفعل المزيد، يجب أن نعود بالزمن إلى الوراء. فالثقافة التي تمر بمرحلة انتقالية يصعب وصفها وفهمها؛ يجب أن نجد فترة ما من التاريخ عندما كانت الثقافة في حالة سكون نسبي. وحينها عندما نعرف الخلفية يمكننا أن نأتي بالسيارات والأفلام والبرلمانات والبث الإذاعي؛ ولن يحجب وجود هذه القطع البلاستيكية والزجاج المكسور في فسيفسائنا معالم الصورة" في كارلتون س. كون، " Caravan: The Story of the Middle East (نيويورك: Holt, Rinehart and Winston, 1958)، 7-8.

[131] Carleton Coon, A North Africa Story: The Anthropologist as OSS Agent 1941-43 (Ipswich: Gambit, 1980), xi.

[132] رمزي الرويغي، "العرق نصب الأعين: عندما استعمر الأوروبيون شمال أفريقيا، نقلوا انشغالهم بالعرق إلى شعوبها المتنوعة وماضيها العريق "، مجلة أيون، 18 شتنبر 2019.

[133] Rouighi, "Race on the mind."

[134] Rouighi, Inventing, 135.

[135] Rouighi, Inventing, 10-11.

دجّنت[136] كتابات ابن خلدون من خلال اختزال مصطلحات الأنساب المستخدمة[137] إلى "العرق" وإضافة ملاحظات المترجم التي أقحمت العرق حيث لم يكن موجودًا من قبل.[138]

ومن شأن البحوث الأنثروبولوجية الرسمية في شمال أفريقيا أن تعزز هذا الطابع العرقي، وتؤيد فكرة أن المجتمعات الأمازيغية والزنجية والعربية تشكل أعراقًا منفصلة، كما أشارت لورسين أيضًا. وتتبعت لورسين على وجه الخصوص، عملية إضفاء الطابع العرقي هذه، ليس فقط من خلال محاولات تصنيف التمايزات الفيزيولوجية، باستخدام علم فراسة الدماغ من بين منهجيات أخرى، ولكن أيضًا في تقييم الثقافة الأمازيغية من خلال منظور تطوري. فقد نُسب إلى الأمازيغ مراراً صفة " الاجتهاد" أو 'الشرف' التي يُفترض أنها جعلتهم 'مهيئين' للانخراط في الحضارة الفرنسية مقارنة بجيرانهم العرب (والسود).[139] وبالمثل، سرعان ما رأى العلماء (العسكريون وغيرهم) " ديمقراطية جمهورية أولية" فيما اعتبروه هياكل قيادية أمازيغية فريدة من نوعها.[140] وكما سيتم مناقشة ذلك بمزيد من التفصيل لاحقا، يمكن ملاحظة أنماط مماثلة - الفصل الصارم بين الأمازيغ والسود باستخدام الخصائص الفيزيولوجية والتقييم الإيجابي للتنظيمات الاجتماعية والسياسية التي تعتبر أمازيغية بامتياز بسبب طابعها المساواتي المفترض - في أبحاث هارت.

فبدلاً من التركيز على جمع المعطيات" الفيزيولوجية"، كان هارت أكثر اهتماماً بصياغة نظريات اجتماعية وسياسية عامة حول الهياكل القبلية والدولة في المناطق ذات الأغلبية المسلمة في العالم، بما في ذلك بناء الأدلة لدعم النظرية الانقسامية المتعلقة بالسلالة. عندما نُشر نقدان لعمل هارت، وهما نقد هنري مونسون الابن. وعبد الله حمودي، حظي الأول باهتمام أكبر بكثير من طرف هارت،[141] في حين أن الثاني، الذي انتقد صراحة كلاً من جيلنر وهارت في توصيفه لأيت عطا على أنها قائمة على المساواة نظراً لاستبعاد

---

[136] إنني أستخدم تعريف لورانس فينوتي لـ "التدجين" في الترجمة: "إن الهدف من الترجمة هو استرجاع الآخر الثقافي بوصفه هو نفسه، أو الذي يمكن التعرف عليه، أو حتى المألوف؛ وهذا الهدف ينطوي دائمًا على خطر تدجين النص الأجنبي بالجملة، وغالبًا ما يكون ذلك وفق مشاريع ذاتية للغاية، حيث تخدم الترجمة مصادرة إمبريالية للثقافات الأجنبية لخدمة أجندات محلية، ثقافية واقتصادية وسياسية". في لورانس فينوتي، "الترجمة كسياسة ثقافية: أنظمة التدجين في اللغة الإنجليزية"، الممارسة النصية 7، 2 (1993)، 209.

[137] مثل، طَبَقة وأُمَّة وجيل وجِنس.

[138] على سبيل المثال، يقول هارت إن كلمة "غلام" تشير إلى "العبد الأبيض الشاب"، التأكيد مني، الرويغي، الاختراع، 146-146. ومن المثير للاهتمام، أن هارت نفسه لاحظ أيضًا الترجمة المفارقة للتاريخ لأحد المستشرقين الفرنسيين وهو دي سلان الذي نشر أول ترجمة جزئية لكتاب العبر بالفرنسية (1856)، وانتقده هارت بسبب "تصنيفه الثلاثي والتعسفي جدًا... لجميع الأمازيغ في إفريقيا في "أعراق" مصمودة وصنهاجة وزناتة" انظر ديفيد هارت " Ibn Jaldún y Evans Pritchard: La solidaridad agnática y la segmentariedad en la teoría y la práctica de la antropología sociocultural del mundo islámico،" ضمن La Sociedad Bereber del Rif marroquí: sobre la teoría de la segmentariedad en el Magreb راجع ديفيد م. هارت ورشيد راخا (غرناطة: Editorial Universidad de Granada 1999)، 13. على الرغم من أنه يبدو أن هارت هنا لا يعترض على استخدام كلمة "عرق"، بل على فكرة أن الأمازيغ ليسوا عرقًا واحدًا.

[139] لورسين، الهويات الإمبراطورية، 124. على سبيل المثال، يرى الدكتور يوجين بوديشون أن " القبائليين يتمتعون بمزايا الشرف والأمانة والنزاهة المجهولة بين الأمم الأفريقية" (لورسين، الهويات الإمبراطورية، 122). وفيما يتعلق بالخصائص الفيزيولوجية ، ذهب الدكتور جيلبير دي هيركورت في كتابه " Etudes anthropologiques sur soixante-seize indegènes de l'Algérie" (1865) إلى أن " القبائليين والعرب كانوا عموماً ذوي رؤوس طويلة، لكن... العرب كانوا أقرب إلى السود من القبائليين" (لورسين، الهويات الإمبراطورية، 156). وعلى نحو مماثل، تشير لورسين إلى أن شقرة بعض الجماعات الأمازيغية احتلت صفحات العديد من الدراسات (لورسين، الهويات الإمبراطورية، 133 و155).

[140] لورسين، الهويات الإمبراطورية، 134. على سبيل المثال، في معرض حديثها عن أعمال الجنرال ل. ج. أدولف سي هانوتو، تشير لورسين إلى أن "(هانوتو) أسهب في الحديث عن القرية القبائلية والديمقراطية القبائلية والقانون القبائلي (الذي خصص له أكثر من 400 صفحة)" وبالنسبة له "كان التنظيم السياسي والإداري للمجتمع القبائلي من بين أكثر التنظيمات السياسية والإدارية التي يمكن تخيلها ديمقراطية ومباشرة..." (لورسين، الهويات الإمبراطورية، 139). وبالمثل، فإن كامي ساباتييه الذي تصفه لورسين بأنه "مسؤول استعماري أخذ الأنثروبولوجيا على محمل الجد"، يعتبر أيضاً أن "صفات الحرية والمساواة والأخلاق الراقية ومناهضة التعصب الديني كانت متجسدة في مؤسساتهم وبالتالي كانت متأصلة في القبائل" (لورسين، الهويات الإمبريالية، 160).

[141] انظر الحاشية 55، التي توضح تفاصيل فصل الكتاب الذي نشره هارت ردًا على ذلك.

جماعات الحراطين من أي من المؤسسات الديمقراطية المفترضة للقبيلة،[142] حظي باهتمام أقل من الجمهور[143] (على الرغم من أن هارت أعرب عن اهتمامه بعلاقات أيث عطا والحراطين في رسائله).[144]

وكما توضح التكريمات الأخيرة التي اقيمت على شرف هارت، فإن إرثه في هذا المجال ليس فريدًا من نوعه. فقد أشار السفير والبروفيسور أكبر أحمد، الذي عمل عن قرب مع هارت في سنواته الأخيرة عندما كان يجري أبحاثًا في باكستان، إلى أن اهتمام هارت بالمجتمعات الإسلامية ينبع جزئيًا من شعوره بالارتباط الشخصي:

ربما لا شيء يلخص لي ديفيد أكثر من رده عندما زارني في غرناطة عام 1991، في خضم المهرجان الذي كان الإسبان يحتفلون به على مدى يومين بمناسبة ذكرى سقوط غرناطة. فبعد اليوم الأول قال: "أنا لا أحضر سوى اليوم الأول من المهرجان السنوي الذي يستمر يومين، حيث يظهر المسلمون والمسيحيون وهم يتقاتلون فيما بينهم، فينتصر فريقي، أي المسلمون، في اليوم الأول وأغادر بعد ذلك لأنهم سيخسرون في اليوم التالي".[145]

وقد ردد العديد من الباحثين الريفيين الذين تفاعلوا مع أعمال هارت (ومعه شخصيًا)، مثل رشيد راخا وناشري الترجمة العربية لأطروحته، مشاعر مماثلة - حيث اعتبروا هارت مدافعًا عن المجتمعات المسلمة والأمازيغية، كما سيتم مناقشة ذلك لاحقًا. من المهم تسليط الضوء على وجهات النظر هذه حول إرث هارت إلى جانب المنطق العرقي المتضمن في أبحاثه، والذي يضعه في سياق سلسلة طويلة من الطروحات الأنثروبولوجية الأورو-أمريكية حول المنطقة.

العمل ضمن شبكة دولية

ربما سهل عدم توليه منصباً أكاديمياً في أي مؤسسة من مؤسسات البحث العلمي من مهمة هارت في النشر المكثف في المجلات ومن خلال دور النشر الموجودة على جانبي المحيط الأطلسي. ويتضح من منشورات هارت[146] ورسائله،[147] أنه على الرغم من عدم حصوله على درجة الدكتوراه، فقد تمكن هارت من الحصول

[142] Abdellah Hammoudi, “Segmentarity, social stratification, political power and sainthood: Reflections on Gellner’s theses,” Economy and Society 9, 3 (1980): 286-7.

[143] وعلى الرغم من أن هارت لا يتطرق صراحةً إلى نقد حمودي، إلا أنه يفرد ثماني صفحات في تذييل لكتابه عن آيت عطا لمناقشة موضوع الحراطين بالإضافة إلى جماعات أخرى مثل اليهود وما يسميه "حرار" أو "الأحرار". انظر: ديفيد م. هارت، "آيت عطا وبيئتهم الاجتماعية والاقتصادية - تذييل"، ضمن كتاب " دادا عطا وأحفاده الأربعون: التنظيم الاجتماعي السياسي لآيت عطا في جنوب المغرب"، تأليف ديفيد م. هارت، (كامبريدج: مطبعة دراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، المحدودة، 1981) ص 211-217.

[144] انظر ديفيد م. هارت إلى روس دن، 2 فبراير 1968، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 4 مايو 1968، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 23 مايو 1968، مجموعة خاصة.

[145] باتريك بورنيت، مساعد السفير أكبر أحمد، رسالة بالبريد الإلكتروني إلى أومار بوم في 30 أكتوبر، 2016. وقد ردد هارت مشاعر مماثلة ضمن كتاب، "Conferencia Inaugural," 83-4.

[146] Hart, Aith Waryaghar, xv; Hart, Dadda ‘Atta, vii; and Hart, “Conferencia inaugural,” 94.

[147] انظر ديفيد م. هارت إلى روس دن، 3 أكتوبر 1970، مجموعة خاصة؛ وديفيد م. هارت إلى روس دن، 3 غشت1973، مجموعة خاصة؛ وديفيد م. هارت إلى روس دن، 8 فبراير 1976، مجموعة خاصة؛ وديفيد م. هارت إلى روس دن، 10 فبراير 1976، مجموعة خاصة.

على تمويل من مؤسسات أكاديمية، مثل مؤسسة وينر جرين ومؤسسة فورد والمتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي في نيويورك ومؤسسة العلوم الاجتماعية. وبغض النظر عن مقدار الدعم المالي الذي حصل عليه هارت، يبدو من خلال رسائله أن المال لم يكن عائقاً كبيراً. وعلى الرغم من أنه كان يشكو في بعض الأحيان من قلة الموارد المالية،[148] إلا أنه يذكر أيضاً أن زوجته أورسولا كينغزميل هارت كانت لديها ممتلكات في المغرب (من خلال عائلتها)[149] وكان بإمكانهما العيش (بما في ذلك السفر) مع تشغيل امرأة للقيام بالأعمال المنزلية تدعى هشومة،[150] دون أي مظهر من مظاهر العمل الرسمي باستثناء امتلاكه في إحدى المرات منشأة يسميها " "حانة و"صالون مغربي". "154 وأشار روس دن في المقابلة التي أجريناها معه إلى أن هارت كان على الأرجح طفل من أبناء الصناديق الائتمانية[151]، على الرغم من أن دن نبه إلى أن هارت لم يكن ينحدر على ما يبدو من عائلة ذات ثروة هائلة. من خلال تربيتها الدولية [152]، حيث ولدت لوالدين بريطانيين في الهند، ونشأت بين فرنسا وطنجة، يبدو أن أورسولا تنحدر من عائلة ميسورة الحال على الأقل.[153]

ويعكس الموضوع الذي اختاره هارت - وهو وصف وتصنيف وتعريف البنية الاجتماعية الأمازيغية - تسلّمه للعباءة التي ورثها عن أستاذه كون. ومع ذلك، وعلى النقيض من كون الذي اتسم بكتابة مقالات مثيرة للجدل عن مجتمعات شمال أفريقية موجهة لجمهور أمريكي (غير أكاديمي في بعض الأحيان)،[154] نشر هارت على نطاق أوسع لجمهور دولي (أكاديمي إلى حد كبير).[155] استخدم هارت على وجه التحديد، إجادته للغة الإسبانية والفرنسية للكتابة في منشورات مغربية وإسبانية وفرنسية، ولعل ما سهل ذلك أيضًا هو إقامته في إسبانيا معظم حياته بعد تركه لدراساته العليا. وقد أورد فيسنتي موغا روميرو في مساهمته في كتاب " أنثروبولوجيا وأنثروبولوجيون في المغرب: تكريمًا لديفيد م. هارت" ببليوغرافيا مفصلة لمساهمات هارت ضمن إصدارات أوروبية ومغربية، وذكر على وجه التحديد مجلة Revue de l'Occident Musulman" et de la Méditerrannée" (إيكس إن بروفانس)، و "Awraq: Estudios sobre el mundo Árabe e Islámico Contemporáneo" (مدريد)، و Aldaba (مليلية)، و Dossier Amazigh (غرناطة).[156]

---

[148] انظر ديفيد م. هارت إلى روس دن، 19 أكتوبر 1969، مجموعة خاصة؛ وديفيد م. هارت إلى روس دن، 17 يناير 1970، مجموعة خاصة؛ وديفيد م. هارت إلى روس دن، 8 مايو 1970، مجموعة خاصة؛ وديفيد م. هارت إلى روس دن، 10 شتنبر 1970، مجموعة خاصة؛ وديفيد م. هارت إلى روس دن، 25 شتنبر 1981، مجموعة خاصة.

[149] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 2 يونيو 1967، مجموعة خاصة.

[150] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 4 غشت1968، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 22 أبريل 1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 19 نوفمبر 1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 9 شتنبر 1971، مجموعة خاصة.

[151] الصندوق الاستئماني للأطفال هو حساب ادخار طويل الأمد معفى من الضرائب لفائدة الأطفال.

[152] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 23 مايو 1968، مجموعة خاصة.

[153] "المصدر الوحيد الموثوق الذي عثرت عليه للحصول على معلومات عن السيرة الذاتية لأورسولا هو المقال التالي الذي كتبته إنكارنا كابيو، Ursula Hart y el Rif de las mujeres" في Antropología y Antropólogos en Marruecos: Homenaje a David M. Hart, eds. Ángeles Ramírez and Bernabé López García (Barcelona: Edicions Bellaterra, 2002), 73-76.

[154] انظر أيضًا، كتاب أستاذ على سبيل المثال، كتاب كون The Riffian" (1933)" و"Caravan": The Story of the Middle East" (1951). كون إرنست هوتن "Up from the Ape" (1931) و"Apes, Men, and Morons" (1937).

[155] تشير تقديراتي إلى أن هارت أصدر 9 كتب وأكثر من 30 مقالاً باسمه بالفرنسية والإنجليزية والإسبانية، دون احتساب الترجمة العربية الأخيرة لكتابه.

[156] Vicente Moga Romero, "La Obra de David Hart en España" في Antropología y Antropólogos en Marruecos: Homenaje a David M. Hart, eds. Ángeles Ramírez and Bernabé López García (Barcelona: Edicions Bellaterra, 2002), 55-7.

وربما كان ذلك نتيجة لوضعه كباحث مستقل، نشر هارت أيضًا على نطاق واسع في مجلة " The Journal of North African Studies (JNAS)" التي تصدر في المملكة المتحدة.

وفي دلالة أخرى على صيت هارت على الصعيد الدولي، أكد برنابي لوبيز غارسيا، أحد محرري المؤلف المذكور أعلاه، أنثروبولوجيا وأنثروبولوجيون في المغرب، أن فكرة تنظيم ندوة في طنجة ونشر كتاب مخصص لهارت في وقت لاحق، بدأت مع الباحث الفرنسي ريمي لوفو.[157] وعلى الرغم من أن لوبيز غارسيا لم يتفاعل شخصيًا مع عمل هارت كمؤرخ، إلا أن لوفو شهد على أهمية هارت في هذا الميدان.[158] وفي وقت لاحق، وبمساعدة ديل إيكلمان، تم اختيار المساهمين في الندوة والكتاب المنشور. وأكد لوبيز غارسيا أنه "بدا لنا من الضروري أن ندرج في التكريم، باحثين مغاربة من الجيل الجديد الذين ساهموا بأعمالهم في هذا المجال"، مشيرًا على وجه الخصوص إلى فصول من إعداد كل من المختار الهراس ومحمد طوزي.[159]

وتجسيدًا لاستمرار أهميته في دراسات غرب البحر الأبيض المتوسط اليوم، أنشأ رشيد راخا، مؤسس العديد من المنظمات الدولية التي تعنى بالدراسات الأمازيغية[160] صحفي بجريدة " أمدال أمازيغ"، ومحرر (بالاشتراك) مع هارت في أحد آخر المؤلفات التي نشرها هذا الأخير,[161] مؤخرًا مؤسسة "ديفيد م. هارت" للدراسات الأمازيغية والمغربية. وبالشراكة مع البنك المغربي للتجارة الخارجية، افتتحت المؤسسة مؤخرًا مكتبة جديدة، تحمل اسم "ثيرا"، في آيث انصار، على الحدود مع مدينة مليلية، زاخرة بكتب تم استقدامها من مكتبة هارت الشخصية.[162] وكدليل إضافي على الدعم الحكومي المغربي لهذا المشروع، حضر العديد من المسؤولين المغاربة البارزين افتتاح المكتبة في أوائل عام 2019. وقد صرح وزير الثقافة والاتصال، محمد الأعرج، أن المكتبة تندرج في إطار "الجهود... بالشراكة مع القطاع الخاص للنهوض بالقطاع الثقافي وإنشاء مراكز ثقافية وتشجيع برنامج للتنمية الثقافية يقوم على فكرة القرب."[163] وتتوفر المؤسسة على أرشيفها الخاص أيضًا، والذي يتضمن مجموعة هارت الفوتوغرافية الواسعة.[164] التقى راخا بهارت أثناء تنظيم مؤتمر حول الريف عُقد في مليلية في أوائل التسعينيات، واستمرت علاقتهما المهنية مع بدء راخا في تأسيس جمعيات تهتم بالثقافة الأمازيغية في إسبانيا وفرنسا.[165] وأخيرًا، ولإظهار التقدير لأعمال هارت حول الريف، نظّم راخا حفل تكريم في الناظور، استقطب حوالي 700 شخص.[166] وبالمثل، كانت فكرة

[157] تواصل شخصي (باللغة الإسبانية) عبر البريد الإلكتروني مع الأستاذ برنابي لوبيز غارسيا في غشت2020.
[158] لوبيز غارسيا مؤرخ.
[159] تواصل شخصي (باللغة الإسبانية) عبر البريد الإلكتروني مع الأستاذ برنابي لوبيز غارسيا في غشت2020.
[160] بما في ذلك الكونغرس العالمي الأمازيغي (سانت روما دي دولان، فرنسا)، وجمعية الثقافة الأمازيغية (غرناطة، إسبانيا)، ومجموعة التوثيق والدراسات الأمازيغية (جامعة غرناطة، إسبانيا).
[161] La Sociedad breber del Rif marroquí: sobre la teoría de la segmentariedad en el Magreb, eds. by David M. Hart and Rachid Raha (Granada: Editorial Universidad de Granada, 1999).
[162] http://amadalamazigh.press.ma/fr/?p=2113.
[163] http://amadalamazigh.press.ma/fr/?p=2113.
[164] أكد ذلك في مقابلة أجراها معه راخا خلال صيف 2019 في الرباط
[165] المعلومات التالية تأكدت منها في مقابلة مع راخا خلال صيف 2019 في الرباط
[166] أكد ذلك راخا في مقابلة أجريتها معه خلال صيف 2019 في الرباط

إنشاء المؤسسة المذكورة أعلاه باسم هارت نتاج نقاشات حول أفضل السبل ليس فقط لتكريم هارت، بل أيضًا لنشر أعماله.

كما أن الفريق الريفي-الهولندي المسؤول عن نشر أطروحة ديفيد هارت مترجمة إلى اللغة العربية; "صوت الديمقراطيين المغاربة بهولندا" منخرط بقوة في دعم الأبحاث حول الريف. في كلمة الناشر التي قدم بها الترجمة، يخلص كل من فريد أولاد لحسن وفريد بن قدور إلى التأكيد على التزامهم باستخدام منبرهم لإسماع وجهة النظر الريفية رغم أنف القوى التي تسعى إلى قمعها وإسكاتها:

... لقد كنا في الجمعية ومنذ اللحظة الأولى عازمين بالفعل، وبكل مسؤولية وعزم، على إخراج هذا العمل الهائل للأستاذ هارت باللغة العربية... لأن هدفنا... كان ولا يزال هو الدفاع عن الباحثين في الريف، وتحفيزهم على إنتاج المزيد من الدراسات حول المنطقة، والعمل، بكل جدية وإحساس بالمسؤولية، من أجل الحفاظ على الذاكرة الجماعية للريف وإنقاذها من الضياع والاندثار والتشويه. لن نرضى في أي حال من الأحوال أن نكون كبراعم الخيزران التي تنمو كل مرة من جذور جديدة، دون إحساس بالانتماء، دون ماضٍ، دون ذاكرة. علاوة على ذلك، حتى لو كنا جميعًا فروعًا متناثرة في بلدان متباعدة بسبب سياسة التهجير الممنهجة، فإن جذورنا ضاربة في الريف، في أعمق أعماق هذه الأرض المقدسة.[167]

ليست هذه هي الحالة الوحيدة في المقدمة التي يشبّه فيها ممثلو الجمعية التفاعل مع أعمال هارت كشكل من أشكال المقاومة ضد قوى القمع المعاصرة، والتي تشمل ما يعتبرونه محاولات لمحو الذاكرة والثقافة الريفية الجماعية.[168] على هذا النحو، ليس من الصعب أن نلمس الاهتمام المتجدد بأعمال هارت كتطور مكمل للعمل النضالي المعاصر في المنطقة، مثل الحراك الشعبي.

كما أشرنا أعلاه، كان هارت، ولا يزال، نسبيًا خارج التيار الأمريكي السائد. وبصرف النظر عن إقامته في إسبانيا معظم حياته، فإن اختيار هذا المكان يرجع، جزئيًا، إلى توجهه النظري داخل المدرسة البنيوية الوظيفية للأنثروبولوجيا البريطانية، وتحديدًا كمتبني للنظرية الانقسامية للسلالة، إلى أن اعترف، ولو جزئيًا، بعدم صلاحيتها،[169] بعد الانتقادات القوية التي وجهها إليه كل من عبد الله حمودي[170] وهنري مونسون الابن.[171] علاوة على ذلك، وعلى عكس معاصريه الأميركيين، مثل كليفورد جيرتز، لم ينتقل هارت أبدًا إلى استخدام الإطارات التأويلية. بالنسبة لهارت، يمكن إرجاع أصل النظرية الانقسامية إلى ابن خلدون في وصفه للعصبية، التي ترجمها هارت، اقتداءً بجورج سوردون وليون بيرشر،[172] على أنها تعني نظريًا

---

[167] أولاد لحسن وبن قدور، مقدمة الجمعية، VIII.

[168] أولاد لحسن وبن قدور، مقدمة الجمعية، VII- VIII.

[169] انظر ديفيد م. هارت، "نماذج في المغرب". The Journal of the Royal Anthropological Institute 2, no. 4 (1996): 721-22.

[170] انظر عبد الله حمودي " Segmentarity, Social stratification, Political Power, and Sainthood: Reflections on Gellner's Theses," Economy and Society 9, 3 (1980): 279-303.

[171] انظر هنري مونسون الابن " On the Irrelevance of the Segmentary Lineage Model in the Moroccan Rif," American Anthropologist 91, no. 2 (1989): 386-400 ،" Rethinking Gellner's Segmentary Analysis of the Morocco's Ait 'Atta's." Man 28, no.2 (1993): 267-280؛ و"Segmentation: Reality or Myth?" The Journal of the Royal Anthropological Institute 1, no. 4 (1995): 821-832.

[172] ديفيد هارت، "ابن خلدون" 16.

وليس حرفيًا التضامن السلالي.[173] وفي سياق وضع هارت لخريطة الأنساب اقتداءً بابن خلدون، سيعمل إي إي إيفانز-بريتشارد على ترسيخ معنى الانقسامية، معتبراً أن النسب الأبوي يخلق "سلسلة من المستويات الانقسامية... مع توازن وتعارض بين القسمات."[174] إن فكرة التوازن والتعارض هذه، سواء كان ذلك من خلال التقاليد الشرعية أو العرفية، تقود هارت (وآخرين، مثل جيلنر وإيفانز-بريتشارد)[175] إلى القول بأن المجتمعات الانقسامية تتميز "بأيديولوجية مساواة قوية مع القليل أو غياب التراتبية الاجتماعية" باستثناء، كما يشير هارت بين قوسين فقط، "المجموعات الاجتماعية التي تشكل [جزءًا من] الفئات الإثنية المهنية، والتي تنبذها الأغلبية. "[176] ويشير هنا إلى أن هذه المجموعات 'المنبوذة' عند آيث عطا تشمل "الحدادين والفخاريين، وهؤلاء من السود أيضًا، إلى جانب الحراطين الأكثر عددًا ومزارعي النخيل في الواحات، وهم أيضًا من السود."[177]

لقد ذكرت من قبل أن رسائل هارت تقدم نظرة ثاقبة بشأن توجّهاته المتغيرة تجاه النظرية الانقسامية للسلالة. وكثيراً ما يدرس عمل هارت بموازاة عمل إرنست جيلنر، فكلاهما ألّفا كتباً عن النظرية الانقسامية داخل جماعات آيث عطا، وربما الأهم من ذلك أن كلاً منهما عمل عن قرب مع يوسف حزماوي في المغرب. بالتأكيد، ومن خلال رسائل هارت، يتضح لنا أنه حافظ على تواصله مع جيلنر، لا سيما خلال ذروة عملهما في المغرب (أي في الستينيات).[178] ومع ذلك، وكما يلاحظ رشيق بجدارة، فإن أسلوب هارت المونوغرافي الشمولي، الذي ربما يكون الأخير من نوعه، يعني أنه لا يتردد في الإبلاغ عن الحالات التي لا تتوافق فيها البيانات الإثنوغرافية مع الاعتبارات النظرية، على عكس جيلنر الذي كانت بياناته تميل إلى أن تكون شحيحة إلى حد ما.[179] أيد هنري مونسون الإبن ذلك أيضًا عندما تواصلنا عبر البريد الإلكتروني خلال شهر يونيو 2020: "إن عمل هارت مليء بالبيانات الإثنوغرافية القيّمة على الرغم من محاولته إجبار هذه البيانات على ملاءمة النموذج الانقسامي. بخلاف جيلنر." [180]وعلاوة على ذلك، وفي نهاية حياته، يعترف

---

[173] هارت، "ابن خلدون" 15-7.

[174] هارت، "ابن خلدون" 17-8.

[175] Ernest Gellner, Saints of the Atlas (Worcester and London: The Trinity Press, 1969), 54-5. انظر، على وجه الخصوص، الهامش 3، حيث يستشهد جيلنر بإيفانز-بريتشارد ("النظام القبلي... هو نظام من التعارض المتوازن...") أنظر أيضًا حيث يصف الصلحاء بأنهم "أجانب مصطنعين" ضروريين لأن "العديد من المجتمعات، التي تتكون من أجزاء متوازنة وغيورة من بعضها البعض ، تحتاج إلى أجانب إما ليحكموها أو ليحكموا بينها" (Gellner, Saints, 299-300).

[176] هارت، "ابن خلدون" 39.

[177] هارت، "ابن خلدون" 39.

[178] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 8 مايو 1967، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 31 أكتوبر 1967، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 25 نوفمبر 1967، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 5 ديسمبر 1967، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 2 فبراير 1968، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 16 مارس 1968، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 4 مايو 1968، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 9 يونيو 1968، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 2 يوليو 1968، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 1 غشت1968، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 2 غشت1968، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 4 غشت1968، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 15 غشت1968، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 7 مايو 1969، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 7 مايو 1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 5 يوليو 1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 19 غشت1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 10 شتنبر 1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 26 أكتوبر 1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 5 نوفمبر 1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 25 شتنبر 1981، مجموعة خاصة; ديفيد م. هارت إلى روس دن، 21 أكتوبر 1981، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 9 نوفمبر 1981، ومجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 10 شتنبر 1985، مجموعة خاصة.

[179] Rachik, Le Proche, 175-177.

[180] مراسلات شخصية عبر البريد الإلكتروني مع هنري مونسون الابن بتاريخ يونيو 2020.

هارت بأنه "لا يمكنني أن أشارك جيلنر رأيه... بأن نموذجًا سيئًا أفضل من لا شيء." [181]وهذا يتوافق مع المشاعر التي عبر عنها في رسالة تعود إلى يونيو 1989، والمذكورة أعلاه أيضًا، عندما كتب هارت أنه يخطط لتفادي استخدام النماذج أصلاً.[182] اتفق هارت، إلى حد ما، مع نقد مونسون الابن للنظرية الانقسامية في الريف، معترفًا بأن معطياته الإثنوغرافية تتضمن استثناءات كثيرة جدًا لقواعد النظرية الانقسامية لإثبات وجودها.[183] ومن المثير للاهتمام، مع ذلك، أن هارت ردّ على مونسون الابن[184] بشكل علني وليس على حمودي. [185]الذي أكد على وجه التحديد أن القول بمبدأ المساواة الانقسامية عند آيث عطا يتجاهل الإقصاء الكلي لجماعات مثل الحراطين.[186] وعلاوة على ذلك، يصعب تحديد درجة التحول النظري لهارت عندما يأخذ المرء في الحسبان، كما أشرنا أعلاه، أنه بعد سنوات من رده على مونسون الابن، في مقال نشر باللغة الإسبانية، اقترح هارت فكرة "الانقسامية المضادة"، التي تؤكد أن "الانقسامية المثلى" كانت موجودة في " أذهان" الريفيين، لكنها لم تخرج دائمًا الى حيز الوجود.[187]

وإذا أخذنا هذه الروابط المتنوعة مع هارت، الشخص والباحث، في مجملها، نجدها واسعة النطاق بشكل مثير للإعجاب. ما أجده مهمًا بشكل خاص، هو الاهتمام الذي أبدته المنظمات غير الأكاديمية أو منظمات المجتمع المدني بعمل هارت. وقد أشار بعض الأكاديميين الإسبان، بمن فيهم لوبيز غارسيا،[188] وغونزاليس ألكانتود إلى الأمر نفسه، حيث أشار الأخير في مقدمة مقابلة أجراها مع هارت وراخا إلى أن " الأمازيغ يحبونه [هارت] ويحترمونه، وهو أمر يلفت دائمًا الانتباه عندما يتعلق الأمر بعالم أنثروبولوجيا. "[189] في الواقع، لم أتعرّف على عمل هارت إلا من خلال صديق ريفي من الناظور، عندما كنت في المغرب لأول مرة بمنحة من فولبرايت في إطار بحث حول الحفاظ على التراث الأندلسي، حيث سلمني نسخة من كتاب زوجته أورسولا كينغسميل هارت؛ خلف باب الفناء: الحياة اليومية للنساء الريفيات في شمال المغرب

---

[181] 47 هارت، "ابن خلدون"،.

[182] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 25 يونيو 1989، مجموعة خاصة.

[183] يجب أن نعترف، بصدق وإن كان على مضض، أن مونسون يكاد يكون محقًا بشكل أساسي في تقييمه لتحليلنا لمجتمع آيث ورياغر (وإن لم " ينطبق ذلك على معطياتهم الإثنوغرافية): من المؤكد أن لف (تحالف) القسمة الصغرى كان له الأسبقية على ذارفيقث أو العشيرة - الذي، على عكس التعريف 'الكلاسيكي' لم يكن جمعيًا أو حتى إنقسامياً حقًا..." ["David M. Hart, "Rejoinder to Henry Munson, Jr." On the Irrelevance of the Segmentary Lineage Model in the Moroccan Rif," American Anthropologist 91, no.3 (1989), 768-9].

[184] وهنا يقول بعبارات لا لبس فيها "....من وجهة نظرنا، الإثنوغرافيا هي أو كانت القلب النابض ،. 166"Luchas hereditarias"هارت، للأنثروبولوجيا الاجتماعية -الثقافية، والآن توقف هذا القلب عن النبض. فالنظرية الأنثروبولوجية ليست سوى واجهة ... بالمقارنة مع الحقائق الإثنوغرافية، خاصة إذا ثبت، وهو ما يبدو أنه يحدث في كثير من الأحيان، أنها [النظرية الأنثروبولوجية] لا تؤدي وظيفتها في معظم الحالات". نُشرت مقاطع من هذا الفصل في " Rejoinder to Henry Munson, Jr." On the Irrelevance of the Segmentary Lineage Model in the Moroccan Rif." American Anthropologist 91, no.3 (1989): 765-769 ، وهو مقتطف من مقال أطول يحمل نفس عنوان الفصل باللغة الإسبانية كان من المفترض أن يظهر ضمن كتاب "آيث ورياغر وجيرانهم الريفيون" (مطبعة ميناس)، والذي يبدو أنه لم يصل إلى مرحلة النشر النهائي.

[185] وعلى الرغم من أن هارت لا يتطرق صراحة إلى نقد حمودي، كما ذكرنا أعلاه، إلا أنه يفرد ثماني صفحات في تذييل لكتابه عن أيث عطا لمناقشة موضوع الحراطين وكذلك المجموعات المصنفة على المستوى الاجتماعي مثل اليهود وما يسميه " حْرَارْ " أو 'الأحرار' (هارت، " حاشية"، 211-(217.

[186] Hammoudi, "Segmentarity," 288.

[187] هارت وراخا، "Introducción"99 ،. 15 و14 انظر أيضًا النقاش السابق في الصفحتين.

[188] وعلى وجه التحديد، ما يلي "... من المدهش اهتمام مؤسسات وجمعيات المجتمع المدني بعمل هارت، وهو اعتراف من الريفيين بمساهمته [هارت] في الدراسات المتعلقة بالمنطقة".

[189] González Alcantud, "Saber antropológico," 93.

(1994 سيكون من المهم مراقبة ما إذا كانت وجهات النظر حول عمله ستتغير في الريف بين الأجيال الجديدة من الباحثين والنشطاء، خاصة في أعقاب الحراك.

الجزء السادس: المتعاونون المحليون

وكما أشار رشيق، كان على علماء الأنثروبولوجيا غير المغاربة الذين يعملون في المغرب بشكل عام (وربما لا يزالون) التعاقد مع "متعاونين " من أجل إجراء أبحاثهم، وذلك لدواعٍ لغوية وثقافية.[190] وعلى الرغم من أن مهارات هارت اللغوية ربما كانت أكثر تقدماً من بعض أقرانه،[191] إلا أنه أشار بنفسه إلى محدوديتها في مناسبات مختلفة.[192] ولم يكن هارت استثناءً عن القاعدة العامة. إن اثنين من أقرب معاوني هارت، اللذين يشير إليهما تارة باسم "الترجمان" وتارة "المخبر" وتارة "المساعد الميداني"، سواء في رسائله أو في كتاباته المنشورة، هما عمار أوزكواغ ويوسف حزماوي. كما ذكرنا أعلاه، التقى هارت ب عمار أوزكواغ لأول مرة أثناء إجراء بحث ميداني تمهيدي في الريف. في كتابات هارت المنشورة، يشكر الجماعات التي عمل وسطها، بما في ذلك مساعديه، ويذكر بانتظام عمار أوزكواغ بالاسم في كتابه عن آيث ورياغر، وإن كان ذلك في الغالب لأغراض تتعلق بالبيانات الإثنوغرافية ولا يشير أحيانًا صراحة إلى وظيفته كمساعد،[193] بينما ظل حزماوي مجهول الهوية (وهي رغبته على الأرجح) في جميع التقارير.[194]

في معظم الأحيان، كان هارت يذكر في كتاباته المنشورة عمل مساعديه الميدانيين بعبارات عامة فقط، كما في المثال التالي "حضر نحو 40 رجلًا لإجراء المقابلة... بينما كان المساعد الميداني يدير الاستجواب."[195] من مثل هذه الإشارات، التي كانت هي القاعدة في الكتابة الأنثروبولوجية في ذلك الوقت، كما أشار رشيق في موضع سابق من هذه الأطروحة، من الصعب معرفة الطبيعة الدقيقة لعلاقة الأنثروبولوجي بالمتعاونين وعلاقة هؤلاء بالبحث. على النقيض من ذلك، تسلط رسائل هارت الضوء على الطبيعة التبادليّة التي غالبًا ما كانت (وربما لا تزال) تأخذها هذه الأنواع من العلاقات بين الأجانب والمتعاونين المحليين. وخلافًا لما حدث مع حزماوي، تكفل هارت بطلب جواز سفر عمار أوزكواغ لمساعدته على مغادرة المغرب، كما هو مفصل في رسالة مؤرخة بتاريخ 4 غشت1968: "لقد بذلت قصارى جهدي للحصول على جوازات سفر لـ"عمار أوزكواغ ... ولخادمتنا، لذا سيتعين على شخص آخر أن يكمل المهمة. ما يحتاجه [يوسف] هو كفيل أو عقد عمل للحصول على جواز السفر... يمكنه أن يغادر المغرب كسائق لـ" جيلنر" مثلا، بهذه الطريقة سافر "عمار" في حالتي.[196] وكما اتضح لاحقًا، فقد تقدم كون أيضًا بطلب لأحد مخبريه، محمد المنبهي، لمرافقته هو وزوجته إلى كامبريدج في ماساتشوستس.[197] ويبدو أن كون استخدم تجارب

---

[190] Rachik, Le Proche, 242.

[191] انظر بول رابينو، "Chicken or glass: in the vicinity of Clifford Geertz and Paul Hyman," Journal of North African Studies 14, 3-4 (2009): 467-77.

[192] ويعترف هارت بأنه درس اللغة العربية الفصحى لمدة عامين فقط قبل أن يبدأ عمله الميداني ثم بدأ بتعلم الدارجة والريفية (هارت، "Conference Inaugural," 85). وعلى الرغم من ذلك، يشير إلى أن محاولاته للتحدث بالريفية كانت موضع تقدير (هارت، "Conferencia inaugural," 87).

[193] انظر على سبيل المثال: Hart, Aith Waryaghar, 87, 105-6, 221 330-332, 336- 334و.

[194] وكما سنناقش ذلك لاحقًا، يبدو أن حزماوي قد ضاق ذرعًا بشكل خاص من ورود اسمه بعد أن تم حظر كتاب جون واتربوري في المغرب.

[195] هارت، دادا عطا، 215.

[196] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 4 غشت 1968، مجموعة خاصة. الشخص المشار إليه هنا باسم "الخادمة" هي هشومة، التي عملت لدى هارت وزوجته في كل من المغرب وإسبانيا.

[197] Hart, "Conferencia Inaugural," 80-1.

المنبهي لكتابة إحدى أولى رواياته.[198] والأمر الأكثر مأساوية هو أن المنبهي قُتل على ما يبدو بعد عودته إلى المغرب "في ظروف غامضة، ولكن، حسب هارت، بموافقة ضمنية من السلطات الفرنسية".[199] وهذا يسلط الضوء على الخطر الذي يمكن أن يواجهه المخبرون الذين عملوا مع علماء الأنثروبولوجيا الأوروبيين والأمريكيين خلال النصف الأول من القرن العشرين على الأقل. بالنظر إلى هذه الحالات، تتراكم الأسئلة: ما هي أخلاقيات (إساءة) استخدام هذه السلطة، أي القدرة على مساعدة مغاربة مختارين على مغادرة البلاد، نظير عملهم (غير الرسمي)؟ ما مدى شيوع هذه الممارسة؟

لقد كنت محظوظةً بما فيه الكفاية لمقابلة يوسف حزماوي وقضيت معه وقتًا قصيرًا جدًا[200] قبل وفاته في أكتوبر 2018.[201] وقد أمكنني هذا اللقاء بفضل المشرف على عملي أومار بوم الذي كان قد حصل على معلومات تتعلق بيوسف من روس دن. واتفقنا على ضرورة تعويض يوسف عن وقته، وبالتالي، سلمته 2000 درهم قبل مغادرتي مراكش، على أن يقوم بوم بتسليمه مبلغًا آخر عند زيارته التالية. لسوء الحظ، وبسبب صعوبة التواصل مع نجل حزماوي، لم نتمكن من ترتيب تسليم القسط الثاني إلى حدود شتنبر 2020.

وحتى في سنه المتقدمة،[202] واصل حزماوي العمل يوميًا في ورشته في حي سيدي يوسف بن علي في مراكش، وهو حي شعبي يفتقر لأبسط مقومات الحياة، في نفس المكان الذي كان يلتقي فيه العديد من الباحثين الأوروبيين والأمريكيين لبدء أبحاثهم على مر السنين. وبما أنني لم أقم بمسح أرشيف رسائل هارت المرتبطة بتلك الفترة بالكامل، فقد أبقيت أسئلتي مبهمة إلى حد ما، حيث سألته عن كيفية تعرفه على إرنست جيلنر؛ وعن تجاربه في العمل مع مختلف الباحثين (سألته صراحة عن جيلنر وهارت، ومع ذلك، فقد ورد ذكر دن وكرابانزانو وبورك ولورديس مارتينيز أيضًا في المحادثة)؛ وبشكل عام، استمعت إلى أي شيء أراد أن يخبرني به عن حياته. أجريت مقابلتنا في الغالب باللغة الدارجة، حيث كنت أتحدث باللهجة الدارجة الشمالية (وهي الوحيدة التي أعرفها)، وكان يوسف يتحدث الدارجة المراكشية. في بعض الأحيان، استخدمت بعض العبارات باللغة الفرنسية أو الإنجليزية، ولكن بشكل نادر جدًا من جانبي، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى لكنتي ومعرفتي السطحية باللغة الفرنسية.

---

[198] في مقدمة الرواية، كتب أستاذ كون السابق إيرنست هوتن: "لقد ألهب [الأمازيغ] دموية علم الاجتماع، والعيون الزرقاء، والشعر الأشقر، وازدراء الأوروبيين خيال عالم أنثروبولوجيا شاب واحد على الأقل يبحث عن أمثاله بين البيض المتوحشين" [إيرنست هوتن، ضمن 'مقدمة' "لحم الثور البري" لكارلتون ستيفنز كون (لندن: جوناثان كيب، 1932)، 9]. سيشيد هارت بروايات كون بعد ذلك بسنوات، قائلًا "لقد نفخت هذه الروايات قدرًا كبيرًا من الحياة" في عمله الإثنوغرافي (Hart, "Conferencia Inaugural," 81).

[199] Hart, "Conferencia Inaugural," 81. يؤكد كون أيضًا مقتل المنبهي في مذكراته: "لم يمض وقت طويل بعد عودته حتى دُعي المنبهي إلى حفل عشاء في فاس. لم يكن ينبغي أن يذهب إلى هناك، لكنه فعل. قام أحدهم بتسميمه. وبالكاد تمكن من العودة إلى مسقط رأسه إهروشن حيث توفي هناك. على الرغم من أنني أنا وجوردون براون كانت لدينا العديد من الشكوك وسمعنا العديد من الشائعات، إلا أننا لم نعرف بالضبط من فعل ذلك، على الرغم من أنني عرفت من أصدر الأمر بذلك. في أحد الأيام خلال الحرب العالمية الثانية ذهبت إلى قسم الخرائط التابع للحماية في الرباط لشراء بعض الخرائط. بعد أن وقعت باسمي، أخبرني الضابط الفرنسي المناوب بسذاجة دون أن أطلب منه ذلك، أنه كان من الضروري تصفية المنبهي لأنه كان يعاقر الخمر بكثرة ويعاكس زوجات الرجال الآخرين ويثير القلاقل بشكل عام. شكرت الضابط وأسناني تصطك على هذه المعلومة وخرجت وصدغي يخفقان حنقاً. لم يكن الخمر ولا النساء هو ما أوقع بالمنبهي في مأزقه، بل مذاق الحرية المسكر - فمن الملام غيري؟ (Coon, Adventures, 67).

[200] خلال صيف 2018 في مراكش.

[201] يسعدني أن أشارك ملاحظات من هذه المقابلات مع الأشخاص المهتمين.

[202] لستُ متأكدة من عمره بالضبط، ولكنني أفهم أنه كان في سن متقدمة بما فيه الكفاية حتى أن ابنه ذكر عدة مرات خلال لقاءاتنا به رغبته في أن يتوقف حزماوي عن العمل. إذا أخذنا في الاعتبار أنه التقى إرنست جيلنر في أول رحلة بحثية له إلى المنطقة في عام 1954، عندما كان حزماوي على الأرجح مراهقًا أو شابًا في العشرينات من عمره، فمن المحتمل أنه كان يقترب من الثمانين من عمره، إن لم يكن في الثمانين عندما التقيت به. للحصول على معلومات حول جدول أبحاث جيلنر انظر Gellner ،Saints, 303-4.

وبإلقاء نظرة إلى الوراء، كان ينبغي علي أن أستعد بشكل مختلف لهذه المقابلة. فعلى الرغم من أنني كنت سأشعر على الأرجح بعدم الارتياح لإثارة هذا الأمر، إلا أنني كنت أتمنى لو أنني اطلعت على الرسائل التي يذكر فيها هارت المبلغ الذي دفعه لحزماوي قبل لقائنا. وبالمثل، ربما كان بإمكاني أن أستجمع شجاعتي لأسأل عما إذا كان حزماوي يعلم أن هارت قد حصل على جوازات سفر لعمار أوزكواغ وهشومة. من وجهة نظري، تعكس هذه الدرجة المتفاوتة من التعويض المادي عن عمل المخبرين مستنقعات أخلاقية مقلقة قد تنشأ في هذا النوع من العمل الإثنوغرافي الذي يتطلب مثل هذه العلاقات الوثيقة مع المتعاونين المحليين بسبب العوائق اللغوية والثقافية من جانب الباحث. ومع ذلك، لا يمكنني بالطبع التحدث عن تجارب حزماوي وعمار أوزكواغ وهشومة. علاوة على ذلك، بدلًا من التركيز بشكل كبير على جيلنر وهارت، كنت أتمنى لو أنني سألت أكثر عن تجربة حزماوي مع باحثين آخرين. وكما لاحظ أحد أعضاء لجنة المناقشة، كان بإمكاني أن أنجز بحثًا يتمحور حوله، مع التعمق أكثر في كل علاقة مع باحثين آخرين من زملائه الأوروبيين والأمريكيين وإجراء مقابلات مع كل من تحدث عنهم. حتى أن دان، في المقابلة التي أجريناها، تساءل مازحًا عن باحث آخر عمل مع حزماوي ذات مرة، إذا أمكن للمرء أن يفحص كتابات جميع زملائه هل سيعكس كل منهم "أطروحة حزماوي"؟ [203]

خلال زيارتي، أطلعني يوسف على بعض الأشياء، بما في ذلك بعض الصور والرسائل التي يحتفظ بها، منها صور ورسائل من هارت وكذلك من دن بالإضافة إلى مفكرة عناوين، قال إنها تعود إلى عقود من الزمن. حيث كان يحتفظ فيها بمعلومات الاتصال بجميع زملائه السابقين بعناية. وقال حزماوي مازحاً أنه كان يضع الأجانب في جانب، والمغاربة في الجانب الآخر لأنه "لا يخلط الأمور". وأعتقد أن ما يتصل بالموضوع هنا هو ما قاله عن " جيلنر" و"هارت" وحقيقة أنه كان يعتبرهما ودان أصدقاءه، حيث ظل على اتصال بهما على مر السنين. وقد أكد لي هنري مونسون الابن، الذي أجرى مقابلة مع حزماوي أيضًا في عام 1990 بسبب اهتمامه " بعلاقة هذا الأخير بكل من هارت وجيلنر"، أنه "اندهش" من مدى إعجاب حزماوي بجيلنر وقال: " أشك في وجود باحثين أنثروبولوجيين آخرين أقرب من مخبريهم/مساعديهم في الميدان كما كان ديف وإرنست من حزماوي."[204]

بعد أن أنهى كل ما كان متاحًا له من تعليم، بدأ حزماوي بتعليم الأطفال الأصغر سنًا. وذات يوم طلب رئيس المكتب المحلي[205] من حزماوي أن يتبعه. كان إرنست جيلنر وزوجته سوزان جالسين في مكتبه.[206] أوضح إرنست أنه يريد تأليف كتاب عن مسقط رأس حزماوي، زاوية أحنصال. كان جيلنر قد جاء مستعدًا لذلك، حيث كان بحوزته الترخيص اللازم للبحث. وهكذا، تم استدعاء قائد البلدة، حيث عمل حزماوي كمترجم بينه وبين المسؤول (الذي لم يكن يتحدث تشلحيت) لتنظيم تفاصيل إقامة جيلنر. وعلى وجه التحديد، تحدث حزماوي عن طلب المسؤول من القائد بأن يجد لجيلنر مكانًا للإقامة والإجابة على الأسئلة التي يطرحها. انتقلتُ إلى استفسار حزماوي عما إذا كان قد استعد لهذا العمل، فأجاب ضاحكًا: "لقد بدأت هكذا". بعد رحلة

---

[203] خلال المقابلة التي أجريناها عبر تطبيق سكايب في يوليو 2020. كان كلانا في لوس أنجلوس، كاليفورنيا.

[204] أجاب هنري مونسون الإبن على سلسلة من الأسئلة التي طرحتها عبر البريد الإلكتروني في يونيو 2020.

[205] وقد أشار إليه يوسف بالعربية باسم " القبطان " وبالفرنسية باسم "رئيس المركز". يسعدني مشاركة التسجيلات مع أي شخص مهتم.

[206] ذُكرت سوزان جيلنر أيضًا في قسم "شكر وتقدير" من كتاب 'صلحاء الأطلس'، حيث يشير إلى أنها عندما انضمت إليه في رحلات العمل الميداني "قامت بعمل لا يقدر بثمن كمساعدة باحث، وسكرتيرة، وممرضة، وطاهية، ومعالجة نفسية، ومحترفة" (جيلنر، صلحاء الأطلس، xiv).

بحث أولية، عاد جيلنر مرة ثانية لأن عمله السابق لم يكن جيدًا بما فيه الكفاية، حسب رأيه. في ذلك الوقت، كان هارت في الريف، وعندما جاء لزيارة جيلنر قال له هذا الأخير"اترك لي يوسف". وأشار حزماوي إلى "أنه بعد صدور كتاب "جيلنر"، "أتى الآخرون مهرولين."

عندما ألححتُ عليه بالسؤال عن المنهجية، وسألته عن كيفية إعداد من يعمل مع علماء الأنثروبولوجيا، أشار حزماوي إلى أنه كان في بعض الأحيان يلفت نظر الباحثين إلى صحة أو عدم صحة البيانات التي جمعوها من " مخبرين" (آخرين). كما أشار أيضًا إلى أن هارت وجيلنر كانا يطرحان دائمًا نفس النوع من الأسئلة. بالإضافة إلى ذلك، أكد حزماوي أنه كان يتأكد في كل مهمة من حصول الباحثين على التصريح المناسب. لم أسأله عما إذا كان ذلك مرتبطًا بتجربته في العمل مع واتربوري، صاحب كتاب "أمير المؤمنين: النخبة السياسية المغربية - دراسة في السياسة الانقسامية" (1970)، الذي تعرض للحظر في المغرب.

وكثيرًا ما يذكر هارت في رسائله قدرة حزماوي على إنجاز جميع المهام الضرورية التي يحتاج اليها الباحث، من الترجمة إلى جمع البيانات وتحليلها. وفي رسالة مؤرخة في 8 مايو 1967، يقدم هارت حزماوي إلى دن على أنه "مترجمي الأمازيغي... الذي تدرب في الأصل على يد جيلنر... وهو شخص مقتدر للغاية." [207]وفي نفس الرسالة، يحدد هارت 'أجر' حزماوي في مبلغ 75 درهمًا في الأسبوع بالإضافة إلى ما يسميه " الإكرام" الذي يشمل المواد الغذائية.[208] والأهم من ذلك، أن الإشارة الوحيدة التي وقفت عليها في أي من كتابات هارت المنشورة حول المعاملات المادية بينه وبين مخبريه وردت في قسم " المناهج" من مؤلفه عن آيث ورياغر. فقد أشار صراحةً إلى أن المدفوعات كانت عبارة عن سجائر أو هدايا صغيرة مثل الشاي والسكر وغيرها من الضروريات لأولئك "الذين ثبتت جدارتهم وموثوقيتهم." [209]ومع ذلك، فقد أشار إلى أن مساعده الميداني الأبرز، عمار أوزكواغ ، على ما أعتقد، "كان يحصل على هدايا اكثر من أي شخص آخر." [210]

وعلى طول الأرشيف، يذكر هارت ترتيب الوظائف المحتملة وتوفير المساعدات المالية وغيرها من أشكال الدعم لحزماوي.[211] تغطي مسيرة كل من هارت وحزماوي المهنية في المغرب الفترة التي تُسمى عادةً سنوات الرصاص أو السنوات السوداء، وهي الفترة الممتدة من الاستقلال عام 1956 إلى بداية حكم محمد السادس عام 1999.[212] وقد تميزت هذه السنوات بسجن وتعذيب وقتل عدد لا يحصى من المغاربة الذين

[207] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 8 مايو 1967، مجموعة خاصة.

[208] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 8 مايو 1967، مجموعة خاصة.

[209] Hart, Aith Waryaghar, xx.

[210] Hart, Aith Waryaghar, xx.

[211] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 8 مايو 1967، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 29 مايو 1967، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 25 نوفمبر 1967، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 13 يونيو 1968، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 1 غشت1968، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 4 غشت1968، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 17 يناير 1969، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دن، 20 يناير 1969، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 13 فبراير 1969، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 17 أبريل 1969، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 7 مايو 1969، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 11 يوليو 1969، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 5 شتنبر 1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 18 غشت1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 1 شتنبر 1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 10 شتنبر 1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 26 أكتوبر 1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 5 نوفمبر 1970، مجموعة خاصة؛ ديفيد م. هارت إلى روس دَن، 6 يناير 1971، مجموعة خاصة؛ وديفيد م. هارت إلى روس دَن، 6 نوفمبر 1981، مجموعة خاصة.

[212] سليوموفيتش، "هيئة الإنصاف والمصالحة المغربية"، 13-4.

اعتبرتهم الدولة معارضين.[213] وليس من الغريب أن القمع الذي مارسته الدولة تسرب أيضًا إلى مجال البحث العلمي، لا سيما في عهد الحسن الثاني الذي بدأ في عام 1961. وكثيرًا ما كانت الكتابات - الأدبية أو الصحفية أو الأكاديمية - تخضع للرقابة، بما في ذلك أعمال الباحثين الأجانب.[214] وفي رسائل تعود إلى فترة السبعينيات، تكشف تعليقات هارت على وضع حزماوي المحفوف بالمخاطر المتزايدة التي كانت تواجه المساعدين الميدانيين الذين عملوا مع الباحثين الأجانب، كما ذُكر أعلاه في حالة المنبهي. على سبيل المثال، في رسالة مؤرخة بتاريخ 2 شتنبر1970، يذكر هارت منع كتاب واتربوري ويخلص إلى أن "هذا على ما أعتقد هو أحد الأشياء التي جعلت يوسف متخوفًا للغاية." [215]ويضيف لاحقًا: "يوسف يريد فقط مغادرة المغرب." وقبل ذلك بيوم، قال هارت بوضوح أنه على الرغم من أنه كان يحتاج لمساعدة حزماوي في مسألة بحثية، "أنا بالتأكيد لا أريده أن يعرض نفسه لأي خطر بسببي." [216]ومن الواضح أن هارت حافظ على اتصال وثيق وحاول تقديم المساعدة لحزماوي طوال حياته. ومع ذلك، فمن المثير للاهتمام أن نأخذ في الاعتبار أنه حتى مع معرفته بالخطر الشديد الذي يمكن أن يواجه المساعدين الميدانيين، لا يبدو أن هارت يشكك حسب ما يبدو من خلال المراسلات الشخصية والكتابات المنشورة التي تم مسحها من أجل هذا المقال، في عملية التعاقد مع المتعاونين المحليين على الرغم من المخاطر المحتملة.

على غرار رشيق المذكور أعلاه، يقر هارت بوجود درجة معينة من الاعتماد على التعاقد، بشكل غير رسمي وبدون حماية "الموظف"، مع المتعاونين المحليين : "... نعم، لقد اعتاد المرء على يوسف - "عمار ترك الآن وظيفة الترجمان/المخبر [كذا]، وإلى الأبد"." [217]من خلال الجمع بين كلمتي 'مترجم' و"مخبر" بشكل بنيوي في جملته، يشير هارت إلى الدور الأساسي الذي لعبه المتعاونون المحليين في البحث الأنثروبولوجي الأورو-أمريكي، بدءًا من المهمة الأساسية (والأكثر تعقيدًا) المتمثلة في جعل الكلمات مفهومة. ولعل علاقة العمل المكثفة الناجمة عن هذه الضرورة هي التي تدفع هارت إلى التعبير عن إحساسه بامتلاك المتعاونين معه : "من المسلم به أن المرء يحب أن يستعين بشخص قام بتدريبه بنفسه (كما فعلت مع عمار - وقد غضبت إلى حد ما عندما حاول كل من أبليجات وجوزيفي...الحصول عليه), كما درب جيلنر في الأصل يوسف... ومع ذلك أحب أن أعتقد أنه حصل على معظم رؤاه [كذا] نتيجة تعاونه معي!"[218]

ومن المؤكد أن هارت، والعديد من زملائه خلال منتصف القرن العشرين، لم يكن بإمكانهم إجراء بحوثهم في المغرب دون مساعدة من المتعاونين المحليين. ويبدو أنه كان على جميع الباحثين الحصول على ترخيص، إما من السلطات الاستعمارية أو من الحكومة المغربية المستقلة في وقت لاحق، الأمر الذي أدى في كثير من الحالات إلى وضعهم على اتصال مع المسؤولين المحليين، الذين ربما قاموا بتعيين أو اقتراح

---

[213] سليوموفيتش، "هيئة الإنصاف والمصالحة المغربية" ، 13-4. والأهم من ذلك أن هارت يشير في خطابه المعد عن مسيرته المهنية إلى أنه لم يكن موجوداً في الريف أثناء انتفاضات أكتوبر 1958، بل قرأ عن الأحداث وهو خارج البلاد، وعاد على ما يبدو بعد أن هدأت الأوضاع في الريف عام 1959 (Hart, " Conferencia inaugural," 97-100).

[214] انظر سوزان جيلسون ميلر، "أصوات جديدة: الصحافة والأدب والسينما"، في كتاب "تاريخ المغرب الحديث" لسوزان جيلسون ميلر، ص 197-200، (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 2013) للاطلاع على لمحة موجزة عن أمثلة رقابية بارزة خلال سنوات الرصاص.

[215] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 2 شتنبر 1970، مجموعة خاصة.

[216] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 1 شتنبر 1970، مجموعة خاصة.

[217] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 11 يوليو 1969، مجموعة خاصة.

[218] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 11 يوليو 1969، مجموعة خاصة

مساعدين، كما في حالة جيلنر.[219] وبالتالي، أدت المعوقات اللغوية والثقافية بشكل عام إلى إقامة علاقات وثيقة وحميمة مع عدد مختار من المتعاونين. يرى رشيق أن "وجود شبكة علاقات كبيرة وأقل حميمية يقلل من التوترات ويجعل المعضلات الأخلاقية أقل درامية."[220] أنا أميل إلى الموافقة، على الرغم من أنني أتساءل عما يعنيه ذلك بالنسبة لشخص يجري بحثًا عن مجتمعه أو عائلته. نظرًا لأن التشابكات المعقدة لعلاقات هارت وغيره من الباحثين الأجانب مع المتعاونين المحليين نادرًا ما تناقش صراحة في الأبحاث المنشورة، فإن مثل هذه الرسائل تمثل نافذة نادرة ومهمة على هذا الإرث غير المريح أحيانًا، وذو النتائج الغير متوقعة في كثير من الأحيان، من البحوث الأنثروبولوجية في المغرب وخارجه.

[219] ومن المثير للاهتمام النظر في كيفية تغير هذا الوضع في السنوات الأخيرة. وبالحديث عن تجربتي الشخصية البحتة، أثناء إجرائي بحثًا بصفتي حاصلة على منحة فولبرايت، لم يسألني مسؤولٌ واحدٌ قط، بدءًا من المقدمين في الحي الذي استأجرت فيه شقة إلى أمناء الأرشيف في المكتبات التي زرتها، عن إذن البحث الذي حصلت عليه من وزارة الداخلية بعد ستة أشهر من وصولي. حتى في الآونة الأخيرة، أثناء قيامي بالعمل الميداني لمشروع الماجستير هذا والعمل التمهيدي لرسالة الدكتوراه، سألت مشرفي عما إذا كان عليّ الحصول على ترخيص من وزارة الداخلية قبل الشروع في العمل. لم يكن أي منا يعرف كيفية القيام بذلك، وعندما سألت زملائي السابقين في برنامج فولبرايت عما كانوا يفعلونه منذ إجراء البحوث من خارج نطاق لجنة فولبرايت، أجمعوا كلهم على أنه لم يكن من الواضح حتى كيف يمكننا طلب مثل هذا الإذن وقمنا ببساطة بإجراء البحوث دون الحصول على إذن.

[220] Rachik, Le Proche, 243.

الجزء السابع: الإرث العرقي

تعكس كتابات هارت المنشورة، في حد ذاتها، نظرة عرقية للعالم، حيث تقسم المجتمعات في شمال أفريقيا إلى أعراق منفصلة: الأمازيغ والعرب واليهود والسود. وكما أشرنا سابقًا، يتتبع الرويغي ولورسين وحنوم هذه الطريقة في التصنيف، لا سيما فيما يتعلق ببياض بشرة الأمازيغ مقارنةً بالجماعات الأخرى في شمال أفريقيا، إلى رحالة وباحثي القرن التاسع عشر. وبالتالي، لم يكن هارت الباحث الوحيد من جيله الذي تبنى هذا الطرح. ومع ذلك، ومع استمرار إعادة النظر في عمله في مجال الدراسات الأمازيغية (ودراسات شمال أفريقيا بشكل عام)، أعتقد أنه من المهم تسليط الضوء على القيود المحتملة التي قد تكون فرضتها هذه النظرة على بحثه. وأتطلع على وجه الخصوص، مع استمرار نمو البحوث التي تحاول موضعة التصنيفات العرقية في المغرب، إلى رؤية المزيد من الأعمال التي تضع العديد من التشابكات التي تبرزها كتابات هارت في سياقها التاريخي، ولعل أشهرها ما يتعلق بموضوع آيث عطا والحراطين.

من المحتمل أن تكون "حاشية" هارت في كتابه عن آيث عطا واحدة من النصوص القليلة التي ركز فيها بشكل شبه حصري على المجتمعات المحلية في المغرب التي كانت تصنف عرقيًا على أنها سوداء. ففيه يميز بين ثلاث مجموعات تشكل " شرائح اجتماعية دنيا" لدى آيث عطا - "اليهود، والسود غير الحراطين وحْرَارْ أو الأحرار وبشكل أخص الحراطين الملونين." [221]ولا يتضح من الفصل الذي كتبه إن كان هذا التمييز من عنده أو من عند مخبريه. ويقدم كذلك "السود غير الحراطين" على النحو التالي:

عبيد سود أقحاح، وعبيد سابقون، ومتخصصون في حرف معينة (حدادون وفخاريون) هنا وهناك وسط تجمعات أمازيغ الأطلس ؛ وبعض الحرفيين الآخرين من غير البيض ... في نفس المناطق؛ وفئة فضفاضة وكبيرة إلى حد ما من الأشخاص المعروفين باسم الأحرار ، وهم مع ذلك مصنفون اجتماعياً وبالتبعية مع الحراطين كـ"مواطنين من الدرجة الثانية"، في درعة حيث يميلون إلى البشرة السوداء وكقْبَالَة, " قاطنو جنوب " تافيلالت، حيث غالباً ما يكونون ذوي بشرة بيضاء وزبناء لبعض السلالات المحلية من المرابطين والشرفاء ....[222]

ويبدو أن قدرة هارت نفسه على "رؤية" الاختلاف ربما كان لها تأثير على هذه التسميات حيث يضيف أن "لحْرَار... غالبًا ما يستوعبهم الحراطين الذين لا يمكن تمييز معظمهم فيزيولوجيا عنهم، على الأقل في منطقة درعة، التي تعتبر أكثر سوادًا."[223]

ومن المثير للاهتمام، في رسائل هارت، أنه يعترف بأن الخطوط الفاصلة بين الجماعات المختلفة المذكورة أعلاه ربما تكون أكثر نفاذية مما قد يعتقده المرء من مجرد قراءة "التذييل". ويقترح على وجه التحديد

[221] هارت، دادا عطا، 211.
[222] هارت، دادا عطا، 212.
[223] هارت، دادا عطا، 212.

(انطلاقا من مناقشاته مع حزماوي) أن كلمة "حْرَارْ" ربما لم تعد مستخدمة في الوقت الراهن، وعلى أي حال، يجب وضع كل مصطلح في سياقه، حيث يمكن أن يختلف معناه باختلاف الأشخاص الذين تسألهم:

وعن حْرَار أو أحرار في منطقة درعة، ذكر يوسف أن المصطلح كان مستخدما بالفعل، ولكن ذلك لم يعد كذلك الآن - وكذلك بالنسبة للحراطين الذين ليسوا خاضعين لأيت عطاء. كما أنني أعتقد، مثلك تماماً، أن هذه الأمور مرتبطة بالسياق. فقد يستعمل الحراطون مصطلح حْرَار أو دراوة عندما يتحدثون عن أنفسهم، بينما يسميهم أيت عطا حراطين. والواقع أنك على حق: بالنسبة لأيت عطا، أي شخص، باستثناء الأمازيغ المنظمين قبليا، وهم (ذوو) " بشرة سوداء"، رغم أن هناك على الأقل جماعة أيت عطا "الغير الإنقسامية"، أي آيت أونير بو مالن، حيث لم يحدث هناك اختلاط عرقي واضح فحسب، بل إن كل قاعدتهم القديمة (قانونهم العرفي) قد ذهبت أدراج الرياح.[224]

يبدو لي شخصياً أن هذا الادعاء بأن أيت عطا ينظرون إلى جميع الأمازيغ الغير "المنظمين قبليًا" على أنهم مختلفون على أساس اللون، أو درجة السواد، يشترك في خصائصه مع بعض الاتجاهات في التمييز على أساس اللون المعروفة في الولايات المتحدة باسم "اختبار كيس الورق البني "[225] و"قاعدة القطرة الواحدة"[226]. في حين أن الأول يشير إلى طريقة غير رسمية لتعريف الجمال وبعض الامتيازات داخل مجتمعات الأفارقة الأميركيين،[227] أما الثانية فقد تم تقنينها خلال حقبة جيم كرو. بالطبع، وللتحقق أكثر من مدى وجود التحيز ضد الملونين بين جماعات أيت عطا، يجب أن يوضح البحث المستقبلي ما يقوله أو يفعله أفراد أيت عطا. لا تشير الأمثلة من كتابات هارت الخاصة والعامة على حد سواء، والتي سيتم مناقشة المزيد منها أدناه، إلى من وكيف تم تحديد الاختلاف بين أفراد جماعات أيت عطا والحراطين بشكل واضح.

ويرد استخدام التقييم البصري لتحديد علاقة الجماعات ببعضها البعض وكذا سلالاتها في العديد من رسائل هارت أيضًا. ففي رسالة مؤرخة في 18 غشت 1970، يشير إلى أن أيث سخمان، "يقولون إنهم ينحدرون من عبد زنجي في ملكية المولى عبد القادر الجيلالي، ولا يبدو عليهم ذلك على الإطلاق! ". يبدو أن هارت يعمل وفق افتراضين: (1) أن أولئك الذين ينحدرون من السود المستعبدين يجب أن يشتركوا في درجة معينة من السواد؛ و (2) أن الملاحظ يستطيع أن يرى ويميز جميع مظاهر السواد. وكما ذكرنا سابقاً، أشار هارت أيضاً في رسائله إلى أن جماعات الحراطين ليست " سوداء قحة" على أساس مظهرها (الفيزيولوجي).[228]

---

[224] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 10 شتنبر 1970، مجموعة خاصة.

[225] " اختبار كيس الورق البني" هو مصطلح في التاريخ الشفوي للسود يُستخدم لوصف ممارسة تمييزية على أساس اللون داخل مجتمع السود في القرن العشرين، حيث تتم مقارنة لون بشرة الفرد بلون كيس ورقي بني. كان الاختبار يُستخدم لتحديد الامتيازات التي يمكن للفرد الحصول عليها؛ حيث كان يُسمح فقط لمن يتطابق لون بشرته مع لون كيس الورق البني أو أفتح من لون كيس الورق البني بالقبول أو الحصول على امتيازات العضوية.

[226] كانت قاعدة قطرة الدم الواحدة مبدأً اجتماعيًا وقانونيًا للتصنيف العرقي، وهو مبدأ مهم جدًا تاريخيًا في الولايات المتحدة - ولكنه موجود في أماكن أخرى، لا سيما في بريطانيا - والذي كان ينص على أن أي شخص له ولو سلف واحد من أصل أفريقي من جنوب الصحراء الكبرى (قطرة واحدة من الدم الأسود) يعتبر أسود (زنجي بالمصطلحات التاريخية)، وكان معنى النقاء العرقي هو أن أي شخص غير قادر على أن يعتبر أبيض في سياق التسلسل الهرمي العرقي الأمريكي كان يوضع في مرتبة أدنى من غير البيض أو الملونين.

[227] تلخص آشلي أ. جونز المصطلح بإيجاز: "اختبار كيس الورق البني هو اختبار غير علمي كان يستخدمه الأمريكيون من أصل أفريقي من خلال وضع كيس ورقي بني على وجه أو ذراع زميل أمريكي من أصل أفريقي. كان يُنظر فقط إلى الأفراد الذين يكون لون بشرتهم أفتح أو بنفس لون الكيس الورقي البني على أنهم جميلون ويُسمح لهم بامتيازات معينة. وعلى الرغم من أن الاختبار لم يعد يُستخدم الآن، إلا أن المواقف التي كشف عنها لا تزال سائدة في ثقافة الأمريكيين من أصل أفريقي." [آشلي أ. جونز، "التفرقة حسب اللون: نظرة خارج كيس الورق البني" أطروحة ماجستير، (جامعة إنديانا في بنسلفانيا، 2018)، iv.]

[228] انظر الهامش 124 أعلاه.

وفي رسالة لاحقة بتاريخ 3 أكتوبر 1985، وفي الوقت الذي يشكك فيه هارت في استخدام لون البشرة "كمعيار" لتحديد صلة القرابة بين الجماعات المختلفة، فإنه يقدم الوصف التالي للصوماليين "لقد عرفت عددًا غير قليل منهم في المملكة العربية السعودية، ملامحهم قوقازية ومتوسطية للغاية، ومع ذلك فإن لون بشرتهم يكاد يكون أسود! كما أنهم يتمتعون بذكاء مرهف وحس فكاهي رائع ومزاجهم رهيب عندما يُسْتَفَزون.... أناس جذابون جداً وروائحتهم عطرة."[229] بالتأكيد، لا توجد مشكلة متأصلة في مجرد الإشارة إلى لون بشرة جماعة معينة، ولكن يجب على المرء أن يشكك في التعميمات وإضفاء الطابع البيولوجي على السلوكيات، التي تتجسد في تعليقات هارت المشار إليها أعلاه، وتطبيع إخضاع مجموعة ما لمجموعة أخرى، وهو ما يظهر في كتاباته الأخرى، التي ستتم مناقشتها لاحقاً. من وجهة نظري، قد يكون اعتماد هارت المفرط على التصنيف البصري للسواد قد أثّر على تحليله، كما هو الحال عندما يدّعي على سبيل المثال أن جماعات " لحْرَارْ " قد "استوعبها الحراطون"، بالنظر إلى أنه في السطر نفسه يشير إلى أنه "لا يمكن التمييز بينهما فزيولوجياً"، وكأنه يوحي بأن هذا هو الأساس الوحيد الذي يمكن أن يقوم عليه اختلاف الجماعتين. بعد قراءة عمل هارت، أتساءل كيف يتصور أفراد الجماعة، أو لا يتصورون، تاريخًا وهويات مشتركة.

وكما لاحظ باحثون آخرون،[230] فإن أصوات الجماعات المصنفة عرقيًا على أنها سوداء في المغرب غائبة إلى حد كبير في الدراسات التي تتناول شمال إفريقيا. يشير هارت بالطبع إلى أنه تحدث إلى العديد من المخبرين الحراطيين، سواء في "تذييله" أو في رسائله، ومع ذلك، وعلى الرغم من سنوات بحثه في جنوب المغرب، فإنه لم يذكر أبدًا إقامة علاقة عمل وثيقة مع مساعد ميداني من الجماعة لمساعدته في مشروعه. ومن الغريب، في الواقع، تصور سبب استحالة إقامة مثل هذه العلاقة بين هارت ومساعده الحراطي، بالنظر إلى أن الجماعة كانت كبيرة، من الناحية العددية، حسب تقديرات هارت نفسه.[231] وبدلاً من ذلك، يبدو أن هارت أجرى معظم أبحاثه بالتعاون مع حزماوي الذي كان، على الأقل لفترة من حياته، يحمل أفكاراً متحيزة ضد السود. على سبيل المثال، يقول هارت: "لقد تلقيت للتو رسالة من [حزماوي] يقول فيها... إنه يحتاج إلى كوخ العم توم[232] وبدأ يتعاطف مع الحراطين! "[233] وبعد مرور عشرين عامًا تقريبًا، يلاحظ هارت أن "موقف يوسف من الحراطين والسود قد خف كثيرًا خلال العقد الماضي"، مضيفًا أن حزماوي يدعي أنه "يتغير مع الزمن."[234] وبالنظر إلى وعي هارت بأفكار حزماوي المتحيزة، يبدو أن عدم التعاقد مع مساعد ميداني من الحراطين كان زلة كبيرة. في إحدى رسائل هارت، ردًا على تردد جيلنر بشأن أي تأكيد على أن

---

[229] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 3 أكتوبر 1985، مجموعة خاصة.

[230] Ilahiane, Ethnicities, xvi; Maha Marouan, " Incomplete Forgetting," Islamic Africa 7, no. 2 (2016): 267-271; Minorities, Women, and the State in the North Africa. موحا الناجي. (Trenton: The Red Sea Pres2016 ،)؛ Eve M. Troutt Powell, Tell This in My Memory: Stories of Enslavement from Egypt, Sudan, and the Ottoman Empire. (ستانفورد: مطبعة جامعة ستانفورد، 2012)؛ وشوقي الحامل، Black Morocco: A History of Slavery, Race, and Islam (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 2013).

[231] ويقدر عددهم بـ 430,000 نسمة سنة 1960. هارت، دادا عطا، 213.

[232] كوخ العم توم أو حياة التواضع روايةٌ للكاتبة الأمريكية هيريت بيتشر ستو، تدور حول مكافحة العبودية، وطرح مشكلة معاناة الأمريكيين الأفارقة. «نُشرت الرواية في عام 1852. ويُقال إنها ساعدت في وضع الأساس لـ«الحرب الأهليّة الأمريكيّة

[233] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 2 غشت1968، مجموعة خاصة.

[234] كما أكد دن في مقابلة أجراها معي أن حزماوي قد أعرب عن آراء مهينة لجماعات الحراطين خلال فترة تعاونهما.

جماعات الحراطين ليست "منظمة قبليًا"، يدعي هارت أن التحدث إلى أفراد جماعة الحراطين عملية غير مجدية:

بالتأكيد للحراطين سلالات...، ولكنني مقتنع بأنها أكثر ضحالة بكل تأكيد ... من سلالات أيت عطا رغم أن الحراطين يمثلون بلا شك عنصراً أقدم بكثير بين السكان... (على أي حال، يصعب إجراء مقابلة مع أفراد من الحراطين بسبب "عقليتهم الخانعة" أساساً: إما أنهم يتهربون من المسألة تماماً، أو يتظاهرون بالغباء أو يخبرونك بما يعتقدون أنك تريد أن تعرفه).[235]

فبدلاً من أن يفترض هارت أن صعوبة التحدث مع المخبرين الحراطيين ربما كانت بسبب علاقته مع آيث عطا، الذين يصفهم في مناسبات عديدة بأنهم يحتقرون جماعات الحراطين على أقل تقدير. ينطلق هارت من افتراض عرقي مفاده أن هذا السلوك (أو "العقلية") السائدة بين الحراطين هي التي جعلت العمل الميداني صعباً. وعلاوة على ذلك، وبالنظر إلى أن هارت يعترف بعدم نجاحه في إجراء مقابلات مع المخبرين الحراطيين فإن معرفته بأنسابهم تبدو على الأرجح ضئيلة للغاية بحيث لا يمكن إقامة أي حجة في هذه المسألة. وعلاوة على ذلك، وبالنظر إلى آراء هارت حول عدم مصداقية المعلومات المستقاة من المقابلات التي تُجرى مع الحراطين، ما زلت أتساءل كيف يتصور أفراد هذه الجماعة تاريخهم وهوياتهم.

ومع ذلك، يقيّم هارت، إلى حد ما، تصورات آيث عطا لمجتمعات الحراطين (والسود). وعلى وجه التحديد، يعيّن خمسة "أبعاد"، باللغة الأمازيغية، لتحديد جماعات الحراطين، من وجهة نظر آيث عطا المفترضة، على الرغم من أن هذه التسميات لا تُنسب بوضوح إلى مخبرين محددين: (1) لون البشرة؛ و(2) "المتردد على الأسواق" الذي يشير إلى وضع أدنى بسبب قلة الحياء وغياب عراقة النسب"؛ و(3) علاقة الكفيل بالزبون، والمعروفة باسم 'الرعاية'؛ و(4) الوضعية الوظيفية "عامل شريك"؛ و(5) الموطن الأصلي، أي المنشأ في وادي درعة.[236] ويشير هارت في متن الكتاب إلى طرق أخرى يتم من خلالها تهميش الحراطين (وغيرهم من " الفئات الاجتماعية والمهنية المنبوذة") ضمن الأنظمة السياسية في آيث عطاء، بما في ذلك عدم حمل السلاح،[237] والحرمان من الحق في المشاركة كمحلفين.[238] والاستبعاد من اختيار رَعْيَانْ.[239]

عند هذه النقطة، أعتقد أنه من المهم أن نبحث أكثر في إحدى حجج حمودي المركزية ضد استخدام هارت وجيلنر للنظرية الانقسامية، التي يفترض أنها تقوم على المساواة،[240] لوصف البنية السياسية لآيث عطا، معتبراً أنه لا يمكن إطلاق مثل هذا الادعاء إذا أخذنا بعين الاعتبار استبعاد فئات مثل جماعات الحراطين من التمثيل السياسي. ويذهب حمودي، على وجه التحديد، إلى أن تعيين زعيم هو في جوهره ممارسة تعزز

---

[235] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 5 يوليو 1970، مجموعة خاصة.

[236] هارت، دادا عطا، 213.

[237] هارت، دادا عطا، 202. انظر أيضاً هارت، دادا عطا، 213.

[238] هارت، دادا عطا، 181. انظر أيضا هارت، دادا عطا، 213.

[239] هارت، دادا عطا، 115-116. انظر أيضاً هارت، دادا عطا، 213.

[240] وللاطلاع على ما يذكره هارت عن المساواة الأمازيغية في مؤلفه دادا عطا، انظر حيث يذكر من جهة أن "إحدى السمات الأساسية للمجتمعات القبلية والأمازيغية الانقسامية هي أن المساواة بين القسمات، التي يتم التأكيد عليها نظرياً (ومن قبل رجال القبائل أنفسهم، نادراً ما تكون مطلقة في الواقع"، بينما في الصفحة التالية، ومن خلال حكاية إثنوغرافية يبدو أن هارت يؤكد من جديد وجود هذه المساواة: "لم تقتصر المساواة عند الأمازيغ على الحد من سلطة [الزعيم]، بل كان عليه أن يكون قائدًا بالفطرة إذا ما رغب في البقاء في هذا المنصب، لأن الطابع المؤقت لمنصب الزعيم حوّله ، كما يقول جيلنر، الى "بطة عرجاء" (هارت، دادا عطا، 79-80).

التمثيل الانتقائي لأن "كل من ليسوا أعضاء في النواة المؤسسة يجب أن يستبعدوا; أي الزبناء، وأحفاد المهاجرين الفارين (اللاجئين) الذين اندمجوا بالطريقة المتعارف عليها عن طريق نحر ذبيحة ، والحراطين، والعبيد، إلخ..."[241] ومن المثير للاهتمام، في السياق الباكستاني، أن هارت يرى أن وجود فئات خاضعة لمجتمع انقسامي هو علامة على الارتباطات البنيوية لهذا النظام في العالم الإسلامي: "كما هو الحال مع آيت عطا، لقبائل البشتون أيضًا 'حراطيها'، في شكل زبناء من السيخ والهندوس، وهم مزارعون شركاء مسالمون كانوا يسمون ''حمسايا''..."[242]

تشير بعض الانتقادات الموجهة للنظرية الانقسامية التي اطلعت عليها إلى فكرة أن هذا النموذج طُبق بشكل انتقائي، متجاهلاً التراتبية الاجتماعية التي يبدو أن مجتمعات مثل أيث عطا قد بُنيت عليها. كيف ولماذا لم يُعطَ هذا التفاوت الواضح على ما يبدو وزنًا تحليليًا؟ أتصور أنه من جانب آخر، لم يتفاجأ الباحثون من غير السود في ذلك الوقت، لا سيما أولئك القادمين من أوروبا الغربية والولايات المتحدة، من القهر الواضح للمجتمعات ذات البشرة الداكنة. ربما، كان من الأسهل فهم المنطقة من خلال المقارنة المباشرة، والتي قد تكون مفيدة في بعض الجوانب، خاصة عند تفحص التاريخ الإقليمي للاستعباد المبني على العرق كما فعل شوقي الحامل.[243] ومع ذلك، فإن مهمة الباحثين هي وضع هذه المفاهيم في سياقها. وردًا على مقال هارت المعنون بـ"اخدش مغربيًا، تجد أمازيغيًا"، يقول الرويغي: " ربما، لكن التفكير بهذه الطريقة بالذات ليس طبيعيًا.... بل على العكس من ذلك، فإن التفكير تاريخيًا في الفئات الاجتماعية - كيف تتحول إلى تصنيفات عادية وكيف يستخدمها الناس لتنظيم عالمهم - يضعها في علاقة مع الأيديولوجيات الحديثة وما قبل الحديثة والسرديات العلمية ". [244]

في كتاب "دادا عطا"، يبدأ هارت في بيان كيف اتخذت العلاقة بين الحراطين وآيت عطا هذا الشكل. ويشير في مقدمته إلى أن آيت عطا وصلوا الى وادي درعة في أواخر القرن السابع عشر أو أوائل القرن الثامن عشر.[245] وفي متن كتابه، لا يذكر هارت إلا بشكل عارض (كما ورد أعلاه) الإقصاءات المختلفة التي عانى منها الحراطون وغيرهم من الجماعات " المنبوذة". ويذكر هارت في " حاشية " كتابه أن كل ما يدّعيه آيث عطا، هو "حماية" الحراطين.[246] ويتساءل ليس فقط عما إذا كان آيث عطا ''قد تمت 'دعوتهم' إلى وادي درعة، بل أيضًا ما إذا كانت علاقتهم بالحرّاطين ليست فقط "اقتصادية" (أي, استغلال قوة عملهم).[247] ثم، لتوضيح وجهات نظر الحراطين، يقدم هارت تفاصيل اجتماع يبدو أنه نظمه بين زعماء آيث عطا وزعماء الحراطين.[248] ويروي أنه عندما أكد شيخ الحراطين الحاضر، أن لطائفتهم زعيماً "منتخباً بالتناوب وبشكل تكاملي على طريقة آيت عطا"، نفى "مقدم آيت عطا" هذا الزعم نفياً قاطعاً.[249] واستمرت الأمور في التفاقم

[241] Hammoudi, "Segmentarity," 288
[242] David Hart, "Les Ait 'Atta Du Centre -Sud Marocain: Eléments d'analyse comparative avec les pachtouns (Afridi) du nord-ouest Pakistanais," in Islam : Société et Communauté : Anthropologies du Maghreb, Ernest Gellner et al. (Paris : Editions Du Centre National de la Recherche Scientifique, 1981), 68.
[243] El Hamel, Black Morocco.
[244] Rouighi, Inventing, 2.
[245] هارت، دادا عطا، 14
[246] هارت، دادا عطا، 214.
[247] هارت، دادا عطا، 214.
[248] هارت، دادا عطا، 215.
[249] هارت، دادا عطا، 215.

عندما "ادعى شيخ الحراطين أنهم كانوا دائمًا أسياد أنفسهم وأن آيت عطا لم يفعلوا شيئًا سوى الجلوس وتنظيف بنادقهم".[250]وبعد أن ادعى شيخ الحراطين أنهم كانوا مسلحين في " فترة ما قبل التهدئة"، تطور الاجتماع إلى عنف جسدي.[251] ويشير هارت إلى أن الاجتماع لم يسفر عن أي شيء جديد، وبعد ذلك صرح كل من " المخزني" الذي كان حاضراً و" مقدّم آيث عطا" لهارت على انفراد عن "كراهيتهم للحراطين - الذين أصبحوا تدريجياً ميسورين بعد واقعة تغبالت." [252]ويختتم هارت فصله (وكتابه) بجملة تكاد تكون حزينة: " فالقانون العرفي ل[آيت عطا]، على الرغم من أنه كان مثيرًا للإعجاب بالتأكيد في جوانب كثيرة ، لم يهيئ أحفاد دادا عطا الأربعين بشكل كافٍ لواقع مغرب ما بعد الاستقلال ". [253]

حتى نصوص هارت الأخرى تحتوي على مثل هذه اللحظات التي تطرح بالنسبة لي على الأقل إشكالية حول الظروف التاريخية التي يمكن أن تكون قد أدت إلى مثل هذا الازدراء الواضح، على أقل تقدير، وربما إلى هذا الاستعباد الصريح، على الأغلب، بين الجماعات التي تعتبر أمازيغية وسوداء. يبدأ هارت في كتابه عن آيث ورياغر بملاحظة أنه نظرًا لأن إيفانز-بريتشارد صقل نظريته الانقسامية بالاعتماد على العمل الميداني في "إفريقيا السوداء"، فلا بد من تعديلها لتتناسب مع السياق الريفي، على افتراض أن السكان ليسوا من السود.[254] ومع ذلك، يشير هارت في كتابه إلى وجود السود ومعاداة السود بين آيث ورياغر، مما يطرح تساؤلًا حول أين تبدأ "إفريقيا السوداء" وأين تنتهي. على سبيل المثال، في القسم الطويل الذي يتحدث فيه عن "أنماط الزواج والأسرة والبيت"، يشير إلى "معتقد أمازيغي واسع الانتشار، ليس له أي أساس على الإطلاق في الشريعة، على الرغم من أن الريفيين يصرون مع ذلك على وجوده، وهو فكرة أنه يجوز للرجل أن يتخذ ما يشاء من الزوجات في وقت واحد شريطة أن تكون كل زوجة خامسة سوداء."[255]

وفي وقت لاحق، يخبرنا هارت أيضًا بمزيد من التفصيل عن نظرة آيث ورياغر للسود واليهود في قسم بعنوان "المتخصصون من الطبقة الدنيا والتراتبية الاجتماعية". وبالنظر إلى أن القلة هم الذين من المرجح أن يقرأوا عمل هارت بالتفصيل، الذي يقع في حوالي 500 صفحة، فإنني أوصي كثيرًا بهذا القسم القصير على أقل تقدير، لأنه يلقي الضوء على كيفية إدراك الاختلافات بين مخبري هارت (وبالطبع بالنسبة له هو نفسه). كما هو الحال في كتاب "دادا عطا"، لا يخوض هارت في العلاقة التاريخية بين آيث ورياغر والسود باستثناء الإشارة (دون الإحالة إلى استشهاد أو مخبر معين) إلى أنهم "جميعًا، دون استثناء، أحفاد العبيد المحررين". [256]وبالمثل، يلاحظ هارت أن السود (واليهود) "يلتمسون الأمان بالتواضع"، وبالتالي لا يحملون أبدًا سلاحًا. [257]ويضيف أيضًا، ومرة أخرى من دون استشهاد مباشر بعمل أكاديمي آخر أو مخبر، أن كراهية آيث ورياغر للسود يمكن " استنتاجها بسهولة من حقيقة أن السبب الذي جعل القبيلة تقرر بشكل جماعي معارضة الدعي بو حمارة... هو... أن قائده الذي تولى قيادة الاجتياح، الجيلالي مول الوضوء، كان

[250] هارت، دادا عطا، 215.
[251] هارت، دادا عطا، 215.
[252] هارت، دادا عطا، 216.
[253] هارت، دادا عطا، 216.
[254] Hart, Aith Waryaghar, 7.
[255] Hart, Aith Waryaghar, 219.
[256] Hart, Aith Waryaghar, 280.
[257] Hart, Aith Waryaghar, 281.

أسود وعبدًا. وهذا ما لم يكونوا ليقبلوا به."[258]. ولعل الأمر الأكثر إثارة للاهتمام، في القسم الفرعي الخاص بالفئات الإجتماعية الدنيا، بعنوان "الأقلية المحتقرة من أشث توزين: هل يرجع ذلك لأسباب مهنية أم عرقية؟" يذكر هارت مرة أخرى بشكل لا لبس فيه، أنه بالنسبة لقبيلة آيث ورياغر والقبائل الأخرى المجاورة، فإن أشث توزين محتقرون ليس فقط بسبب ارتباطهم بـ "المهن الوضيعة" نتيجة "أصولهم الوضيعة"، ولكن أيضًا بسبب "عرقهم" المختلف والأكثر سوادًا. "[259] ويحذر هارت من هذه النقطة الأخيرة قائلاً إنه شاهد على الأقل طفلين أزرقي العينين (أحدهما أصهب) بين أشث توزين، على الرغم من أن بشرة الأخير "ربما تُعزى إلى أصول أمه التي تنحدر من آيث توريرث." [260]

تثير هذه الحكايات بالنسبة لي، من ناحية، الرغبة في الإصغاء إلى من يُعَدّون من السود، ومن ناحية أخرى، لفهم المزيد حول الكيفية التي يعرّف بها آيث ورياغر والجماعات الريفية الأخرى السواد. بالتأكيد، وبالنظر إلى الطريقة التي يصف بها هارت السواد هنا، يمكن استخلاص الكثير من أوجه التشابه مع السياق الأمريكي. ولكن، مع أخذ كلام الرويغي بعين الاعتبار، لماذا لا يشرح هارت تحت أي منطلقات أيديولوجية كان جميع السود في المنطقة مستعبدين في السابق، أو على الأقل لماذا لا يزال السود محتقرين من قبل الأغلبية؟ وعلاوة على ذلك، هل لا يزال بإمكانه تأكيد أطروحته المركزية القائلة بوجود "مساواة شبه مطلقة" في "الأنظمة السياسية الأمازيغية في مناطق السيبة الجبلية"[261]إذا كان تهميش هذه الجماعات يستحق التفاتة تحليلية، أو بعبارة أخرى، لا يعتبر أمراً "طبيعيًا"؟

في بعض الأحيان، تزيد رسائل هارت من تعقيد الأمور. واتساقًا مع أعماله المنشورة، يؤكد هارت أن أنظمة المعتقدات الأمازيغية لا تعتبر "الأقليات" متساوية أمام القانون: "إن مبدأ المساواة الأمازيغية الذي يقوم دائماً على قاعدة أن الأغلبية (الأمازيغية) أكثر استحقاقًا للمساواة من الأقلية (مثل إعْرَابَنْ والفئات المهنية المحتقرة، الحدادون، الحراطون، وغيرهم)."[262] وعلاوة على ذلك، يستخدم هارت الفكاهة في العديد من المناسبات لتسليط الضوء على قهر السود، بما في ذلك عندما يقارن عمل زوجته أورسولا وأختها أثناء تجهيز حانتهن الجديدة بـ " عمل الحراطين".[263] ويضيف، في إشارة إلى نظريته القائلة بأن آيت عطا، شأنهم شأن القبائل الأمازيغية الأخرى، تستخدم نظام خَمْس خْمَاس الانقسامي لتوزيع الثروة، أنه "س(ي)حرص بالطبع على ألا يحصلوا فيما بينهم على أكثر من خمس محصول التمر! "[264] وبالمثل، في رسالة إلى إميليا بلانكو، ابنة إميليو بلانكو إيزاكا، وهو مراقب عسكري إسباني في الريف خلال الحقبة الاستعمارية ترجم هارت أعماله إلى الإنجليزية،[265] يقول "أنا أعمل مثل [رجل] أسود"،[266] ولكني تجاوزت الجزء الأصعب

---

[258] Hart, Aith Waryaghar, 281.
[259] Hart, Aith Waryaghar, 283.
[260] Hart, Aith Waryaghar, 283.
[261] Hart, Aith Waryaghar, 12.
[262] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 2 فبراير 1968، مجموعة خاصة.
[263] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 23 مايو 1968، مجموعة خاصة.
[264] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 23 مايو 1968، مجموعة خاصة.
[265] Emilio Blanco Izaga: Colonel in the Rif، ترجمة وتقديم ديفيد هارت (نيو هافن، كونيتيكت: Human Relations Area Files, Inc., 1975). انظر أيضًا ديفيد هارت، "Emilio Blanco Izaga and the Berbers of the Central Rif," Tamuda V, 2 (1958): 171-237.
[266] تُقرأ في الأصل ""negro"" بالإسبانية، وبالتالي يمكن ترجمتها إلى "زنجي" أو "رجل [أسود]".

الآن. ”[267] كذلك، وبينما ينتقد هارت الباحثين الذين ينددون بالتقسيم المعاب الآن بين بلاد المخزن وبلاد السيبة يرد هارت قائلاً: “إنهم يرفضون ذلك باعتباره مؤامرة استعمارية مهدت للحماية، وهذا ببساطة كوصفهم القدر الذي يسمونه غلاية تِرّاس[268] بالحرطاني."[269]

وفي سياق متصل، مع محافظته على علاقات طيبة مع العديد من الباحثين اليهود، بما في ذلك جيرمان عياش وإرنست جيلنر، إلا أنه عندما كان يستعر انفعاله، كانت الأحكام المسبقة تكشف عن نفسها في بعض الأحيان. على سبيل المثال، عندما اتصل عياش بهارت طالبًا منه المساهمة في عدد قادم من مجلة، يعلق هارت قائلًا: ”كونه يهوديًا، فهو يريد دائمًا شيئًا مقابل لا شيء“. [270]قد يبدو هذا التعليق متناقضًا بشكل صارخ مع انطباع هارت السابق عن عياش في عام 1969، عندما كتب ”عياش رجل لطيف للغاية... ومجتهد.“ مشيرًا إلى أن عياش ”يمثل تلك الحالة النادرة، أي اليهودي الذي يعود إلى المغرب.“ [271]بل إن هذا النوع من الخطاب لم يقتصر في بعض الأحيان على عياش فحسب، بل ظهر أيضًا في تحليلاته التي تتعلق باليهود بشكل عام (بالإضافة إلى جماعات أخرى.) على سبيل المثال، في رسالة مؤرخة في 27 شتنبر1971، اشتكى هارت من "هؤلاء اليهود المغاربة... الذين يدعون أنهم إيطاليون! كنت أعرف واحدًا منهم.... أصر على أنه إيطالي - باسم مثل أفلالو؟ إيطالي، هراء!" [272]إن إنكار هارت لادعاءات النسب لشريحة من الأفراد استنادًا إلى تشكيكه الخاص لا يقلل من شأن ملكية أفراد الجماعة لتاريخهم فحسب، بل إن تعميمه لتجربة مع فرد واحد لتعريف جماعة بكاملها هو ممارسة تخمينية تعزز المنطق العنصري.
وعلاوة على ذلك، لم تكن هجرة اليهود من إيطاليا إلى شمال إفريقيا، وخاصة إلى تونس الحديثة، منذ أوائل العصر الحديث وحتى القرن التاسع عشر، أمرًا نادرًا، وبالتالي فإن هذا الاحتمال في حد ذاته ليس بلا أساس. ومن المحتمل أيضًا أن تكون هذه الغضبة ناجمة عن مطالب اليهود بالجنسية الأوروبية، نظرًا لتفاوت درجات الحماية التي كانت متاحة للمغاربة قبل الفترة الاستعمارية وخلالها.[273] على الرغم من أن محمد كنبيب، في كتابه عن المحميين، اليهود وغيرهم، يسارع إلى الإشارة إلى أن هذه الحماية لم تكن شاملة لكل اليهود المغاربة واعتمدت، في معظم الأحيان، على الوضع الاجتماعي والاقتصادي.[274] كما يشير في الكتاب

---

[267] Vicente Moga Romero, ”La Obra de David Hart en España“ في Antropología y Antropólogos en Marruecos: Homenaje a David M. Hart, eds. Ángeles Ramírez and Bernabé López García (Barcelona: Edicions Bellaterra, 2002), 31.

[268] هو مستشرق فرنسي وعالم بالآثار الإسلامية (Henri Terrasse :بالفرنسية) هنري تِرّاس (1895 - 1971 م).

[269] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 9 نوفمبر 1967، مجموعة خاصة. لا يشرح هارت هنا أسباب إشارته إلى تيراس، على وجه التحديد، عند استبدال كلمة ”أسود“ المعتادة في المثل بكلمة ” حرطاني“. لكن في سياق متصل ربما، يفصل تيراس في كتابه ”تاريخ المغرب: من النشأة إلى إقامة الحماية الفرنسية“، بشكل قاطع، بمصطلحات عرقية، بين الحراطين (و”الملونين“ بشكل أوسع) والمجتمعات الأمازيغية: "ومع ذلك، في الواحات الحدودية للمغرب، كان الأمازيغ على تماس مع سكان ملونين قدامى: الحراطين، الذين يبدو أنهم استقروا [في] الواحات الصحراوية إلى غاية غزو الأمازيغ البيض للصحراء واستقدام العديد من السود... وقد تساءل البعض عما إذا كان هؤلاء الحراطون القدماء ينحدرون من خليط قديم وثابت، حيث شكلوا عرقاً آخر....يبدو أنهم يشكلون عرقاً فعلياً، حتى بالمعنى الفيزيولوجي للكلمة.... لا بد أن سكان جنوب المغرب قد امتزجوا بهذه العناصر الملونة... ومع ذلك، فإن كتلة الأمازيغ البيض في المغرب لم تتغير بفعل هذا الاختلاط القديم مع عرق ملون" [هنري تيراس، تاريخ المغرب: من النشأة إلى إقامة الحماية الفرنسية) الدار البيضاء: Éditions Atlantides1949 ،(20-19 ،].

[270] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 10 شتنبر 1970، مجموعة خاصة.

[271] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 12 يوليوز 1969، مجموعة خاصة.

[272] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 27 شتنبر 1971، مجموعة خاصة.

[273] محمد كنبيب، ” المحميون: مساهمة في تاريخ المغرب المعاصر“ أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط، 1996.

[274] ويلاحظ كنبيب، على وجه التحديد، أن "هناك عوامل متنوعة رجحت كفة دعوة الأوروبيين [إلى حماية] اليهود. كان هناك، من بين أمور أخرى، حقيقة أن الأخيرين لم يكونوا يحملون تجاه الأولين نفس الأفكار المتحيزة التي يحملها مواطنوهم المسلمون، وأن عقبة اللغة لم تكن تشكل [مشكلة] من الناحية النظرية، وأن كليهما يشتركان في نفس الرغبة في التوسع التجاري. إن اتساع نطاق العلاقات التي كان بعض اليهود، بصفتهم مصرفيين،

إلى أن السلطة الإيطالية، على وجه الخصوص، لم تكن دائمًا في نفس مستوى نفوذ الدول الأوروبية الأخرى الحاضرة في المغرب (فرنسا وإسبانيا وبريطانيا العظمى)، مما يثير التساؤل حول مدى شيوع وضع المحميين الإيطاليين بين أي مجموعة من السكان المحليين.[275]

إنني أسلط الضوء على هذه اللحظات في رسائل هارت لأنه، كما يشير بوم في بحثه عن الذاكرة في جنوب المغرب، يمكن للفكاهة أن تكشف عن "الأيديولوجيات الكامنة."[276] ويوضح دينيس هاويت وكوامي أوسو-بيمبا على وجه التحديد أهمية الفكاهة لفهم كيفية استخدام العرق في المجتمع، مشيرين إلى أن "وجود الطرائف حول التصنيفات العرقية هو دليل على أهمية هذه التصنيفات."[277] بالتأكيد، لم تكن نظرة هارت للعالم على الأرجح غير مألوفة في تلك الفترة الزمنية ووسطه الاجتماعي. ومع ذلك، فإن التصنيفات العرقية التي تسكن الفكاهة في رسائل هارت يتم تعزيزها في أعماله المنشورة، وبالتالي فهي تستحق الذكر، على أقل تقدير.

ومن المثير للاهتمام أن هارت يقيم باستمرار مقارنات بين اليهود المغاربة وجماعات الحراطين في رسائله. على سبيل المثال، بتاريخ 5 غشت 1970، ينظر هارت في "أوجه التقارب البنيوية" بين الحراطين والجماعات اليهودية، زاعمًا، كما ورد في رسائل أخرى مذكورة أعلاه، أن الطائفة الأولى ليس لها أي بنية قبلية.[278] كما أن التشكيك في وجود أي بنية قبلية بين جماعات الحراطين وارد أيضًا في كتابات هارت المنشورة.[279] ومرة أخرى في 18 غشت 1970، يثير هارت هذه المسألة، مشيرًا إلى أن " جيلنر لم يثر أي ضجة حول موضوع انتفاء الطابع القبلي للحراطين كونه "صورة نمطية"."[280] بالطبع، لا يمكن معرفة ما قاله جيلنر لهارت بالضبط حول هذه المسألة، ولكنني أتساءل عما إذا كان قد نبّه إلى أي افتراض بأن البنية الاجتماعية والسياسية لجماعة مصنفة عرقيًا على أنها سوداء ستكون أقل تعقيدًا من تلك التي تخص جماعة آيث عطا أو غيرها من الجماعات المحسوبة على العرق الأبيض. ويعترف هارت بأن "المطلوب هو عمل ميداني متين وجيد"، لكنه يؤكد أنه "في غياب ذلك [العمل الميداني] وعلى أساس الأدلة المتاحة، فإنني

يتمتعون بها داخل المخزن، سواء على المستوى المركزي أو الإقليمي أو المحلي، كان يمثل، بنفس القدر، عاملاً لا يستهان به، إن لم يكن أساسياً" (كنبيب، "المحميون، 41-2).

[275] انظر على وجه الخصوص القسم المعنون "المأثرة المذهلة للوزير الإيطالي، 1869"، الذي يحكي محاولات أحد المسؤولين الإيطاليين ستيفانو سكوفاسو في عام 1869، لكسب المحميّين والاحتفاظ بهم: "ركز ستيفانو سكوفاسو، الذي تمت ترقيته حديثًا إلى منصب وزير، وكان متحفزًا لكل أشكال المزايدات ومهتمًا شخصيًا بتعزيز نفوذ مفوضيته على استقطاب المحميين، الذين تم اختيارهم أساسًا من الجالية اليهودية. وقد نازع الريادة الفرنسية". يتناول هذا القسم بالتفصيل، على وجه الخصوص، إحدى المحاولات التي قام بها "سكوفاسو" لتحرير أسير مغربي ادعى أنه من المحميّين الإيطاليين. وفي النهاية، تدخلت بريطانيا العظمى من أجل التوصل إلى تسوية. (كنبيب، "المحميون"، 55-7).

[276] أومار بوم، "المسلمون يتذكرون اليهود في جنوب المغرب: الذاكرة الاجتماعية والسرديات الحوارية والتصور الجماعي لمفهوم اليهودية"، أطروحة دكتوراه، (جامعة أريزونا، 2006)، 507.

[277] Dennis Howitt and Kwame Owusu-Bempah, "Race and Ethnicity in Popular Humour," in Beyond a Joke: the Limits of Humour, ed. by Sharon Lockyer and Michael Pickering (London: Palgrave Macmillan, 2005), 62. وبالمثل، يرى راؤول بيريز أن "الفكاهة العنصرية والسخرية العنصرية لطالما استُخدمت ... كخطاب يوحد المتحاورين حول المشاعر العنصرية والأيديولوجيات العنصرية"، "وبالتالي "تعمل على تعزيز ... "الإطار العنصري الأبيض [راؤول بيريز، "عنصرية بلا كراهية؟ Racist Humor and the Myth of 'Color-blindness'," Sociological Perspectives 60, 5 (2017): 957].

[278] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 5 غشت1970، مجموعة خاصة.

[279] انظر "المقدمة" في دادا عطا، حيث يصف هارت "مزارعي الواحات الحراطين الزنوج" بأنهم "منظمون بطريقة شبه قبلية في أحسن الأحوال". حيث يعرّف الحراطين بأنهم "سكان سود قدامى، مستقرون في الصحراء، مزارعو نخيل "Les Ait 'Atta" (هارت، دادا عطا، 3)؛ وانظر أيضاً في "Les Ait 'Atta" (هارت، 57) "هادئون يكادون يفتقرون إلى أي تنظيم قبلي".

[280] ديفيد م. هارت إلى روس دان 18 غشت 1970، مجموعة خاصة.

متمسك بموقفي في هذا الشأن." [281] ثم يقول إنه سيستشير حزماوي لأنه "من السهل أن يتذكر بعض النقاط الحاسمة التي نسيت تدوينها." [282] وفي وقت لاحق في نفس الرسالة، يشير إلى أن باحثًا آخر، بريغز (على الأرجح لويد كابوت بريغز الابن)، [283] يمكنه أن يلقي بعض " الإضاءات الجزائرية" على "أوجه التشابه البنيوية" بين الحراطين والجماعات اليهودية.

من المهم أن نلاحظ أن هارت يشير إلى المنطق العرقي الذي ربما كان له تأثير على سبب إجراء المزيد من الأبحاث حول اليهود المغاربة مقارنة بالحراطين: " أعتقد أننا نعرف عنهم أكثر بكثير مما نعرف عن الحراطين، وذلك ببساطة لأن الجميع لطالما اعتبر هؤلاء اليهود "مثيرين للاهتمام"، في حين أن الحراطين كانوا فقط "موجودين هناك" - إذا فهمت قصدي." [284] ويبدو أن هارت يشير إلى أن البيض الأورو-أمريكيين قد فوجئوا على الأرجح عندما علموا أن اليهود عاشوا في إفريقيا لقرون بسبب مجموعة الافتراضات التالية التي تميز المنطق العرقي السائد والشائع في ذلك الوقت: (1) أن اليهود شعب سامي يقيم في المقام الأول في سياقات أوروبية (أي بيضاء في الغالب)؛ (2) أن إفريقيا، باستثناء أقصى الشمال، هي موطن لمجتمعات سوداء حصراً، غير بيضاء وغير سامية؛ (3) أن اليهود ليسوا من ذوي البشرة السمراء أو السوداء بالشكل نفسه الذي ينطبق على المجتمعات الإفريقية. وهكذا يتضح لماذا، كما لخص هارت، ينظر هذا الجمهور الأورو-أمريكي إلى جماعات الحراطين على أنها " موجودة هناك فحسب "، لأن هذه الافتراضات تسلّم بوجود السود (من منظور أورو -أمريكي) في جميع أنحاء القارة الأفريقية. ستظل التجارب المتشابهة للجماعات اليهودية المغربية والحراطين تشغل أفكار هارت لفترة طويلة بعد كتابة هذه الرسائل. على سبيل المثال، في "Right and Left in the Atlas Mountains: Dual Symbolic Classifications among Moroccan Berbers," ، يؤكد هارت أن هناك مجموعة من 'المصطلحات'، بما في ذلك 'يهودي' و" حرطاني أو أسود"، " تتنافى بشدة... مع مفاهيم أمازيغ الأطلس الكبير لما يمثّل 'التفكير السليم' بخصوص السلوك البشري." [285] مرة أخرى، وفي ظل عدم وجود معلومات عما قاله المخبر أو مجموعة المخبرين الذين جمع هارت منهم هذه المصطلحات على وجه التحديد، فإن تعليقاته تتركني، وربما باحثين آخرين، متلهفين لمزيد من البحث في مفهوم الاختلاف بين مجتمعات شمال أفريقيا، بشكل عام.

أريد أن أختتم هذا القسم بتقديم ما أعتقد أنها آفاق لدراسات مستقبلية حول العرق في شمال أفريقيا والتي يمكن استخلاصها من النقاشات غير المكتملة في رسائل هارت. أولاً، يذكر هارت في رسائله أنه سمع أن أعضاء جماعة الحراطين حاولوا، مرة واحدة على الأقل، اللجوء إلى القضاء في نزاعهم من أجل حقوق الأرض ضد بعض الشخصيات من آيت عطا. على وجه التحديد، في رسالة مؤرخة في 9 أكتوبر 1973، يسأل هارت روس دن عما إذا كان يعرف عنوان باتريس بلاك بلير، المستشار الاقتصادي لبرنامج الأمم

---

[281] ديفيد م. هارت إلى روس دان 18 غشت 1970، مجموعة خاصة.
[282] ديفيد م. هارت إلى روس دان 18 غشت 1970، مجموعة خاصة.
[283] يشير على الأرجح إلى لويد كابوت بريغز ونوريما لامي غيدي على وجه التحديد، "No More Forever: A Saharan Jewish Town," Papers of the Peabody Museum of Archaeology and Ethnology 55, no. 1 (1964): 75-88.
[284] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 18 غشت1970، مجموعة خاصة.
[285] Hart, David, “Right and Left in the Atlas Mountains: Dual Symbolic Classifications among Moroccan Berbers,” Journal of North Africa Studies 4, no. 3: 36.

المتحدة للتنمية آنذاك،[286] لأن(ني) "صادفت للتو تدوينة في مذكراتي تعود إلى عام 1964 وردت منه تفيد بأن الحراطين في منطقة ترناتا (قرب زاكورة) كانوا جميعاً على استعداد لتوكيل محامٍ من الدار البيضاء من أجل استرداد الأراضي التي ادعوا أن آيت عطا انتزعوها منهم قبل الحماية. "[287] وعلى حد علمي، لم يتم إجراء سوى القليل من الأبحاث أو أي بحث على الإطلاق حول قضية الخلاف على حقوق الأرض بين الحراطين.

ثانيًا، في ملاحظة ذات صلة، أعتقد أنه ينبغي القيام بالمزيد من البحث في العلاقات المعقدة بين المجتمعات الأمازيغية والمغربية السوداء. يتخلل موضوع الرق وتجارة الرقيق في المغرب العديد من رسائل هارت، وكان حريصاً بشكل خاص على فهم استعباد آيث عطا لجماعات الحراطين كما هو مبين أعلاه وفي الملاحظة التالية في رسالة مؤرخة في 6 يونيو 1968 "أعتقد أن رأيي ورأي ليفرو صحيحان: فمعظم آيث عطا الذين يعيشون خارج جبل صاغرو استسلموا للفرنسيين دون قتال... بمجرد أن ضمن لهم هؤلاء عاداتهم وسلطتهم على الحراطين."[288] ومن المؤكد أن شوقي الحامل قد بدأ هذا العمل بقسم فرعي قصير (سبع صفحات) بعنوان "موقف الأمازيغ من السود في المغرب" في كتابه "المغرب الأسود"، ولكن يبدو أن مؤلفا كاملا مخصصا لهذا الموضوع لم ينجز بعد.[289]

وختامًا، أعتقد أن ملاحظات هارت الثاقبة حول الغياب النسبي للأبحاث حول المجتمعات المغربية السوداء مقارنةً باليهود المغاربة يجب أن تخضع لمزيد من التمحيص. وبشكل أدق، وبالنظر إلى أن اليهود المغاربة والمغاربة السود، لا سيما في جنوب المغرب، تعايشوا لقرون، إن لم يكن لآلاف السنين، فمن الضروري بالتأكيد إجراء المزيد من الأبحاث لدراسة طبيعة العلاقات اليومية بين هاتين الجماعتين. على وجه الخصوص، كيف يمكننا تحديد دور (أدوار) الجماعات اليهودية والحراطين في ممارسات الاستعباد العرقي في جميع أنحاء المناطق المتاخمة للصحراء الكبرى؟ من المؤكد أن أومار بوم قد فتح الطريق لمثل هذا البحث بكتابه الذي يركز على الأفكار المتوارثة بين الأجيال حول (ذكرى) الجيران اليهود السابقين داخل المجتمعات المحلية في جنوب المغرب، ذكريات الغياب: كيف يتذكر المسلمون اليهود في المغرب (2013).

[286] بعد أن عمل مستشاراً لأول رئيس وزراء للمغرب المستقل.
[287] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 9 أكتوبر 1973، مجموعة خاصة.
[288] ديفيد م. هارت إلى روس دن، 6 يونيو 1968، مجموعة خاصة.
[289] شوقي الحامل، " نظرة الأمازيغ إلى السود في المغرب"، ضمن كتاب "المغرب الأسود: تاريخ العبودية والعرق والإسلام لشوقي الحامل (نيويورك: مطبعة جامعة كامبريدج، 2013)، 86-93.

الجزء الثامن: الخلاصة

ربما ليس من المستغرب أن إنتاجات هارت الواسعة من الكتابات المنشورة والمراسلات الخاصة تسلط الضوء على العديد من الموضوعات التي لم يتم حلها في أنثروبولوجيا شمال أفريقيا، مثل الحاجة إلى إجراء المزيد من البحوث التي تضع العلاقات التاريخية بين المجتمعات الأمازيغية والسود في المغرب في سياقها. وكما لاحظ باحثون آخرون،[290] فإن أصوات المجتمعات المصنفة عرقياً على أنها سوداء في المغرب مفقودة إلى حد كبير في الدراسات المعاصرة. من المؤكد أن المنشورات والمؤتمرات الأخيرة التي تقدم منظورًا نقديًا حول موضوع العرق في شمال إفريقيا تبشر بالخير لملئ الفراغ في هذا المجال. [291]

تمامًا كما وصف إدواردز كتاب ليريس 'أفريقيا الشبح' بأنه نافذة على" الممارسة الإثنوغرافية الشائعة في ظل الاستعمار"،[292] فإنني أعتبر أن أعمال هارت بأكملها، بما في ذلك مراسلاته الشخصية، بمثابة نافذة على الممارسة الإثنوغرافية في ظل المرحلة الانتقالية. وبطبيعة الحال، لا يمكن لدراسة واحدة بمفردها أن تضيء كامل نطاق الممارسة الأنثروبولوجية خلال هذه الفترة، لذا آمل أن أرى أبحاثًا إضافية حول أرشيفه، من بين أبحاث أخرى، عندما تصبح متاحة. من المؤكد أن اتباع منهج متعدد الطبقات في الكتابة، بما في ذلك أشكالها العامة والخاصة على حد سواء، يمكن أن يساعد في توسيع فهمنا للديناميات المتغيرة في الممارسة الأنثروبولوجية على مر الزمن.

[290] ؛ مها مروان، "نسيان غير مكتمل". أفريقيا الإسلامية 7، رقم 2 (2016): 267-271؛ موحا الناجي، الأقليات، المرأة xviإلحيان، الإثنيات، ؛ إيف م. تروت باول، " اذكر هذا في مذكراتي: قصص الاستعباد من مصر (، The Red Sea Pres2016 :ترينتون) والدولة في شمال أفريقيا والسودان والإمبراطورية العثمانية (ستانفورد: مطبعة جامعة ستانفورد، 2012)؛ وشوقي الحامل، المغرب الأسود: تاريخ العبودية والعرق والإسلام (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 2013).

[291] سينثيا ج. بيكر، العنصر الأسود في المغرب: الهوية الكناويّة من خلال الموسيقى والثقافة البصرية (مينيابوليس: مطبعة جامعة مينيسوتا، 2020)؛ و الرويغي، "اختراع: مؤتمر المغرب الكبير حول العرق والجنس والهجرة، الذي نظمه مركز الدراسات المغاربية في جامعة ولاية أريزونا (دجنبر 2019؛ معهد المغرب الدولي للغات والثقافات)؛ و"أفريقيا والشرق الأوسط: ما وراء الانقسامات"، الذي نُظم في إطار مشروع العلوم السياسية في الشرق الأوسط (يونيو 2020؛ جامعة كولومبيا).

[292] Edwards, “Introduction to the English Translation,” 19

قائمة المراجع:

Asad, Talal. “Introduction.” In Anthropology & the Colonial Encounter, edited by Talal Asad, pages 9-20. London: Ithaca Press, (1973) 1975.

اونيا، محمد، عبد المجيد عزوزي، وعبد الحميد الرايس، ” تقديم المترجمين “، ضمن كتاب ” أيث ورياغر: قبيلة من الريف المغربي، دراسة إثنوغرافية وتاريخية، الجزء الأول، ديفيد م. هارت، ص 9- 12. 2016 صوت الديموقراطيين المغاربة، هولندا.

Becker, Cynthia J. Blackness in Morocco: Gnawa Identity through Music and Visual Culture. Minneapolis: University of Minnesota Press, 2020.

Blackburn, Simon. The Oxford Dictionary of Philosophy, 3rd ed. Oxford: Oxford University Press, (1996) 2016.

Blakey, Michael L. “Skull Doctors: Intrinsic Social and Political Bias in the History of American Physical Anthropology.” Critique of Anthropology 7, no. 2 (1987): 7-35.

Blanco Izaga, Emilio. Emilio Blanco Izaga: Colonel in the Rif, translated by and with an introduction from David Hart. New Haven, Conn.: Human Relations Area Files, Inc., 1975.

Boum, Aomar. “Muslims Remember Jews in Southern Morocco: Social Memories, Dialogic Narratives, and the Collective Imagination of Jewishness.” Ph.D. diss. University of Arizona, 2006.

----------------- Memories of Absence, How Muslims Remember Jews in Morocco. Stanford: Stanford University Press, 2013.

Bruchac, Margaret M. Savage Kin: Indigenous Informants and American Anthropologists, with a foreword by Melissa Fawcett Tantaquidgeon Zobel. Tucson: University of Arizona Press, 2018.

Cabello, Encarna. “Ursula Hart y el Rif de las mujeres” in

Antropología y Antropólogos en Marruecos: Homenaje a David M. Hart , eds. Ángeles Ramírez and Bernabé López García, pages 73-76. Barcelona: Edicions Bellaterra, 2002.

Calderwood, Eric. Colonial Al-Andalus: Spain and the Making of Modern Moroccan Culture. Cambridge: The Belknap Press of Harvard University Press, 2018.

Clifford, James. “Notes on (Field)notes.” in Fieldnotes, ed. by Roger Sanjek, pg. 47-70. Ithaca and London: Cornell University Press: 1990.

------------------ ed. “A Special Section: New Translations of Michel Leiris.” Trans. by James Clifford, Lydia Davis, Richard Sieburth, Paul Auster, and Michael Haggerty. Sulfur 15 (1986): 4-125.

Clifford, J. and G. E. Marcus. Writing Culture: The Poetics and Politics of Ethnography. Berkeley: University of California Press, Berkeley, 1986.

Coon, Carleton. The Riffian. Boston: Little, Brown, and Company, 1933.

----------------- Caravan: The Story of the Middle East. New York: Holt, Rinehart and Winston, 1958.

------------------ A North Africa Story: The Anthropologist as OSS Agent 1941-1943. Ipswich: Gambit Press, 1980.

------------------ Adventures and Discoveries: The Autobiography of Carleton S. Coon. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1981.

Crapanzano, V. Tuhami: Portrait of a Moroccan. Chicago: University of Chicago Press, 1980.

El Hamel, Chouki. Black Morocco: A History of Slavery, Race, and Islam. Cambridge: Cambridge University Press, 2013.

Ennaji, Moha, ed. Minorities, Women, and the State in North Africa. Trenton: The Red Sea Pres, 2016.

Gellner, Ernest. Saints of the Atlas. Worcester and London: The Trinity Press, 1969.

------------------“Preface.” In Tribe and State: Essays in Honour of David Montgomery Hart, edited by Joffe, E. G. H. and C. R. Pennell, 1-3, Cambridgeshire: MENAS Press, 1991.

Gupta, Akhil and James Ferguson. “Discipline and Pracice: ‘The Field’ as Site, Method, and Location in Anthropology.” In Anthropological Locations: Boundaries and Grounds of a Field Science, ed. by Akhil Gupta and James Ferguson, pg. 1-46. Berkeley: University of California Press, 1997.

González Alcantud, José Antonio. “Saber antropológico y resistencias culturales: David Montgomery Hart.” in Las palabras y las culturas: catorce diálogos humanísticos en clave antropológica, José

Antonio González Alcantud, pgs. 93-106, Granada: Universidad de Granada, 2007.

Hage, Ghassan. “Hating Israel in the Field: On Ethnography and Political Emotions.” Anthropological Theory 9, 1 (2009): 59-79.

Hammoudi, Abdellah. “Segmentarity, Social Stratification, Political Power, and Sainthood: Reflections on Gellner’s Theses.” Economy and Society 9, 3 (1980): 279-303

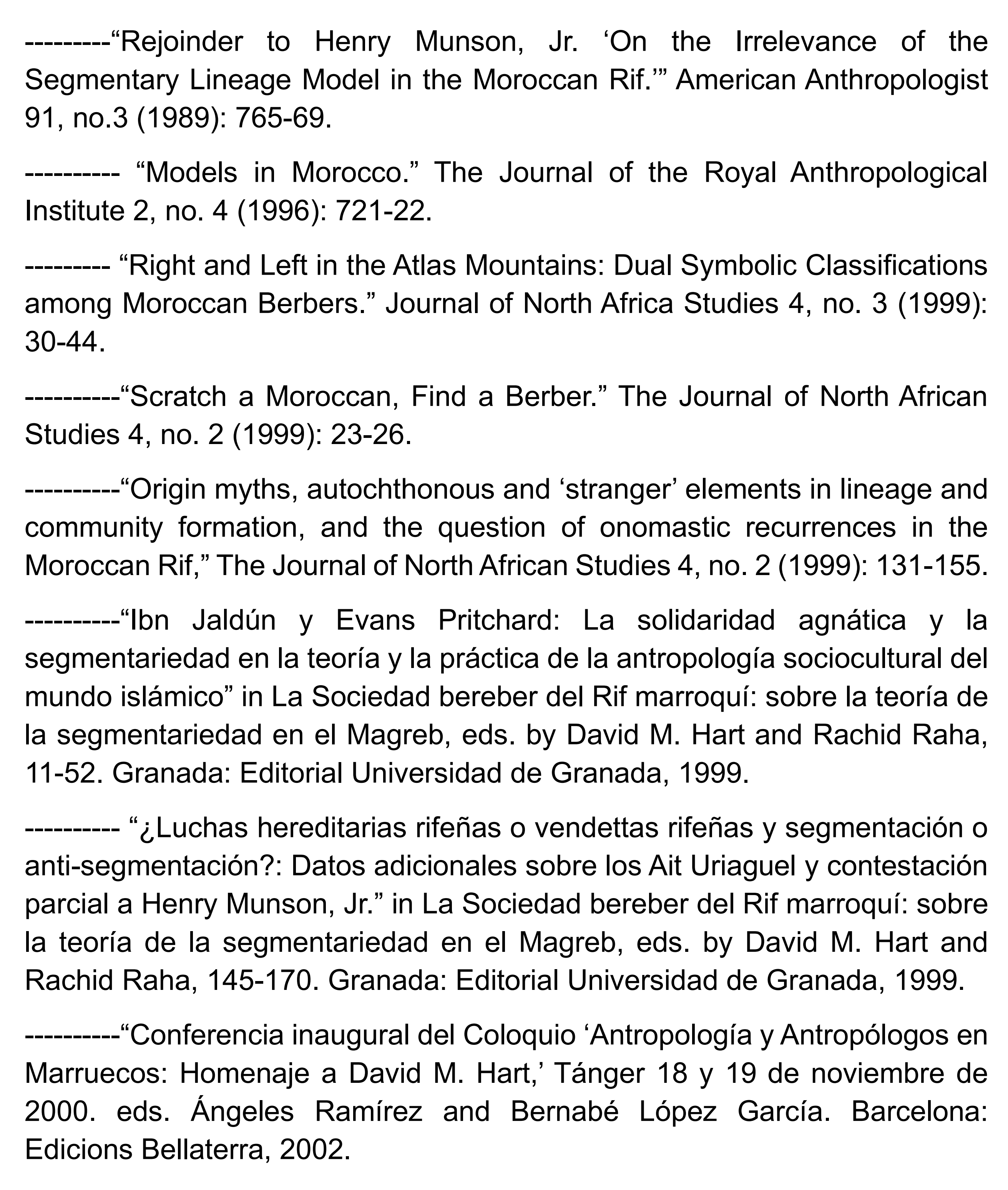
Hannoum, Abdelmajid. Colonial Histories, Post-Colonial Memories: The Legend of the Kahina, A North African Heroine. Portsmouth: Heinemann, 2001.

Hart, David. “Emilio Blanco Izaga and the Berbers of the Central Rif,” Tamuda V, 2 (1958): 171-237.

-----------The Ait Waryaghar of the Moroccan Rif: An Ethnography and History, with a foreword by Carleton Coon. Tucson: The University of Arizona Press, 1976.

--------- Dadda ‘Atta and his Forty Grandsons: the Socio-Political Organization of the Ait Atta of Southern Morocco. Cambridge: Middle East and North African Studies Press, Ltd., 1981.

--------- “Les Aith ‘Atta Du Sud-Centre Marocain: Elements d’analyse comparative avec les pakhtuns (Afridi) du nord-ouest Pakistanais,” in Islam : Société et Communauté : Anthropologies du Maghreb, edited by Ernest Gellner et al., 55-70. Paris : Editions Du Centre National de la Recherche Scientifique, 1981.



---------“Rejoinder to Henry Munson, Jr. ‘On the Irrelevance of the Segmentary Lineage Model in the Moroccan Rif.’” American Anthropologist 91, no.3 (1989): 765-69.

---------- “Models in Morocco.” The Journal of the Royal Anthropological Institute 2, no. 4 (1996): 721-22.

--------- “Right and Left in the Atlas Mountains: Dual Symbolic Classifications among Moroccan Berbers.” Journal of North Africa Studies 4, no. 3 (1999): 30-44.

----------“Scratch a Moroccan, Find a Berber.” The Journal of North African Studies 4, no. 2 (1999): 23-26.

----------“Origin myths, autochthonous and ‘stranger’ elements in lineage and community formation, and the question of onomastic recurrences in the Moroccan Rif,” The Journal of North African Studies 4, no. 2 (1999): 131-155.

----------“Ibn Jaldún y Evans Pritchard: La solidaridad agnática y la segmentariedad en la teoría y la práctica de la antropología sociocultural del mundo islámico” in La Sociedad bereber del Rif marroquí: sobre la teoría de la segmentariedad en el Magreb, eds. by David M. Hart and Rachid Raha, 11-52. Granada: Editorial Universidad de Granada, 1999.

---------- “¿Luchas hereditarias rifeñas o vendettas rifeñas y segmentación o anti-segmentación?: Datos adicionales sobre los Ait Uriaguel y contestación parcial a Henry Munson, Jr.” in La Sociedad bereber del Rif marroquí: sobre la teoría de la segmentariedad en el Magreb, eds. by David M. Hart and Rachid Raha, 145-170. Granada: Editorial Universidad de Granada, 1999.

----------“Conferencia inaugural del Coloquio ‘Antropología y Antropólogos en Marruecos: Homenaje a David M. Hart,’ Tánger 18 y 19 de noviembre de 2000. eds. Ángeles Ramírez and Bernabé López García. Barcelona: Edicions Bellaterra, 2002.

Hart, David and José Rodriguez Erola. “Rifian Morals,” in Encyclopedia of Morals, ed. by Vergilius Ferm. New York: Philosophical Library, 1956.

Hooten, Earnest. Up from the Ape. London: George Allen and Unwin, Ltd., 1931.

------------------ "Foreword," in Flesh of the Wild Ox: a Riffian Chronicle of High Valleys and Long Rifles, by Carleton Stevens Coon, ix-xi. London: Jonathan Cape, 1932.

----------------- Apes, Men and Morons. London: George Allen and Unwin, Ltd., 1938.

Howitt, Dennis and Kwame Owusu-Bempah, "Race and Ethnicity in Popular Humour," in Beyond a Joke: the Limits of Humour, ed. by Sharon Lockyer and Michael Pickering, 45-62. London: Palgrave Macmillan, 2005.

Hrdlička, Aleš. "Lecture Number 27." Lecture, American University, May 27, 1921.

Hurston, Zora Neale. Barracoon: The Story of the Last 'Black Cargo,' edited by Deborah G. Plant with a foreword by Alice Walker. New York, NY: Amistad, an imprint of HarperCollins, 2018.

Ilahiane, Hsain. "The Break-up of the Ksar: Changing Settlement Patterns and Environmental Management in Southern Morocco." Africa Today 48, no. 1 (2001): 20-48.

----------------- Ethnicities, Community Making, and Agrarian Change. Lanham: University Press of America, Inc., 2004.

Jackson Jr., John P. "'In Ways Unacademical': The Reception of Carleton S. Coon's The Origin of Races." Journal of the History of Biology 34 (2001): 247-285.

Hart, David M. and Rachid Raha. "Introducción" in La Sociedad bereber del Rif marroquí: sobre la teoría de la segmentariedad en el Magreb, eds. by David M. Hart and Rachid Raha, 7-10. Granada: Editorial Universidad de Granada, 1999.

Hart, Ursula Kingsmill. Behind the Courtyard Door: The Daily Life of Tribeswomen in Northern Morocco. Ipwich, Mass.: Ipswich Press, 1994.

Heard, Danielle C. "Miscegenation," in The Jim Crow Encyclopedia: Greenwood Milestones in African American History, edited by Nikki L. M.

Brown and Barry M. Sentiford, vol. 2, pg. 526-535. Westport, Conn.: Greenwood Press, 2008.

Jones, Ashley A. “Colorism: Looking Outside the Brown Paper Bag.” Master’s thesis. Indiana University of Pennsylvania, 2018.

Kenbib, Mohammed. “Les protégés : contribution à l'histoire contemporaine du Maroc” أطروحة الدكتوراه. Faculté des Lettres et des Sciences Humaines – Rabat, 1996.

Kund, Attila. “Duties for Her Race and Nation’: Scientistic Racist Views on Sexuality and Reproduction in 1920s Hungary.” Sexualities 19, no. ½ (2016): 190-210.

فريد أولاد لحسن وفريد بن قدور، تقديم جمعية صوت الديموقراطيين المغاربة بهولندا. ضمن كتاب: أيث ورياغر، قبيلة من الريف المغربي، دراسة إثنوغرافية وتاريخية، الجزء الأول، من تأليف ديفيد م. هارت، ترجمة محمد اونيا، عبد المجيد عزوزي وعبد الحميد الرايس، صفحات 7-8 هولاندا، صوت الديموقراطيين المغاربة

Leiris, Michel. L'Afrique fantôme. 1934. مترجم بمقدمة جديدة بقلم برنت هايز إدواردز. كلكتا: كتب النورس، 2019.

Marouan, Maha. “Incomplete Forgetting.” Islamic Africa 7, no. 2 (2016): 267-271.

Miller, Susan Gilson. “New Voices: The Press, Literature, and the Cinema.” in A History of Modern Morocco by Susan Gilson Miller, pg. 197-200. Cambridge: Cambridge University Press, 2013.

Munson Jr., Henry. “On the Irrelevance of the Segmentary Lineage Model in the Moroccan Rif.” American Anthropologist 91, no. 2 (1989): 386-400.

-----------------------“Rethinking Gellner’s Segmentary Analysis of Morocco’s ‘Ayth ‘Atta.” Man 28, no.2 (1993): 267-280.

----------------------- “Segmentation: Reality or Myth?” The Journal of the Royal Anthropological Institute 1, no. 4 (1995): 821-832.

Lorcin, Patricia M. E. Imperial Identities: Stereotyping, Prejudice & Race in Colonial Algeria. Lincoln and London: University of Nebraska Press, (1995) 2014.

Lutkehaus, Nancy. “Refractions of Reality: On the Use of Others Ethnographers’ Fieldnotes.” In Fieldnotes, ed. by Roger Sanjek, pg. 303-323. Ithaca and London: Cornell University Press, 1990.

Martin-Márquez, Susan. Disorientations: Spanish Colonialism in Africa and the Performance of Identity. New Haven & London: Yale University Press, 2008.

Mateo Dieste, Josep Lluís. “Remembering the tatas: an oral history of the Tetouan elite about their female domestic slaves.” Middle Eastern Studies 56, 3 (2020): 438-452.

--------------------- “La paraetnografía militar colonial: poder y sistemas de clasificación social” in Antropología y Antropólogos en Marruecos: Homenaje a David M. Hart, eds. Ángeles Ramírez and Bernabé López García, in Antropología y Antropólogos en Marruecos: Homenaje a

David M. Hart, eds. Ángeles Ramírez and Bernabé López García, pgs. 113-134. Barcelona: Edicions Bellaterra, 2002.

Munson Jr., Henry. “On the Irrelevance of the Segmentary Lineage Model in the Moroccan Rif.” American Anthropologist 91, no. 2 (1989): 386-400.

--------------------“Segmentation: Reality or Myth?” The Journal of the Royal Anthropological Institute 1, no. 4 (1995): 821-832.

--------------------“Rethinking Gellner’s Segmentary Analysis of Morocco’s Ait ‘Atta.” Man 28, no.2 (1993): 267-280.

Pérez, Raúl. “Racism without Hatred? Racist Humor and the Myth of ‘Color-blindness’.” Sociological Perspectives 60, 5 (2017): 956-974.

Rabinow, Paul. “Chicken or glass: in the vicinity of Clifford Geertz and Paul Hyman.” Journal of North African Studies 14, 3-4 (2009): 467-77.

--------------------- Reflections on Fieldwork in Morocco. Berkeley: University of California Press, 1977.

Rachik, Hassan. Le Proche et Le Lointain : un siècle d’anthropologie au Marc. Marseilles : Éditions Parenthèses, Maison Méditerranéenne des Sciences de l’Homme, 2012.

Ralph, Laurence. Renegade Dreams: Living Through Injury in Gangland Chicago. Chicago: University of Chicago Press, 2014.

Ramírez, Ángeles, and Bernabé López García. “Introducción,” in Antropología y Antropólogos en Marruecos: Homenaje a David M. Hart, eds. Ángeles Ramírez and Bernabé López García, 17-24. Barcelona: Edicions Bellaterra, 2002.

Rosaldo, Renato, “Imperialist Nostalgia.” In Culture and Truth: The Remaking of Social Analysis, pg. 68-87. Boston: Beacon Press Boston, 1989.

Rouighi, Ramzi. Inventing the Berbers: History and Ideology in the Maghrib. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2019.

-------------------“Race on the mind: When Europeans colonized North Africa, they imposed their preoccupation with race onto its diverse people and deep past.” Aeon Magazine. September 18, 2019.

Sanjek, Roger. “A Vocabulary for Fieldnotes.” In Fieldnotes, ed. by Roger Sanjek, pg. 92-138 (Ithaca and London: Cornell University Press: 1990).

------------------“The Secret Life of Fieldnotes.” In Fieldnotes, ed. by Roger Sanjek, pg. 187-272. Ithaca and London: Cornell University Press: 1990.

-----------------“On Ethnographic Validity,” In Fieldnotes, ed. by Roger Sanjek, pg. 385-418 (Ithaca and London: Cornell University Press: 1990).

Said, Edward. Orientalism. New York: Pantheon Books, 1978.

Scholte, Bob. 1969. “Toward a Reflexive and Critical Anthropology.” In Reinventing Anthropology, edited by Dell Hymes, pg. 430-357. New York: Random House, 1969.

Silverstein, Paul. “Masquerade politics: race, Islam and the scale of Amazigh activism in southeastern Morocco.” Nations and Nationalism 17, 1 (2011): 65-84.

Simpson, Audra. Mohawk Interruptus: Political Life across the Borders of Settler States. Durham, N.C.: Duke University Press, 2014.

Slyomovics, Susan. "The Ethnologist-Spy Was Hanged, at That Time We Were a Little Savage: Anthropology in Algeria with Habib Tengour." b2o 3, 4 (December 2018): 1-20.

----------------------- "The Moroccan Equity and Reconciliation Commission: The Promises of a Human Rights Archive." The Arab Studies Journal 24, no. 1 (Spring 2016): 10-41.

----------------------- "State of the State of the Art Studies: An Introduction to the Anthropology of the Middle East and North Africa." In Anthropology of the Middle East and North Africa: Into a New Millennium, edited by Sherine Hafez and Susan Slyomovics, pg. 3-22. Bloomington and Indianapolis: Indiana University Press, 2013.

Solovey, Mark and Hamilton Cravens, eds. Cold War Social Science: Knowledge Production, Liberal Democracy, and Human Nature. New York, NY: Palgrave MacMillan, 2012.

Tamura, Linda. Nisei Soldiers Break Their Silence: Coming Home to Hood River. Seattle: University of Washington Press, 2012.

Terrasse, Henri. Histoire du Maroc : des origines à l'établissement du Protectorat français. Casablanca: Éditions Atlantides, 1949.

Trask, Haunani-Kay. From a Native Daughter: Colonialism and Sovereignty in Hawai'i, second ed. Honolulu: University of Hawai'i Press, (1993) 1999.

Troutt Powell, Eve M. Tell This in My Memory: Stories of Enslavement from Egypt, Sudan, and the Ottoman Empire. Stanford: Stanford University Press, 2012.

Turda, Marius. "A New Religion'? Eugenics and Racial Scientism in Pre-First World War Hungary." Totalitarian Movements and Political Religions 7, no. 3 (2006): 303-325.

Venutti, Lawrence. "Translation as cultural politics: Regimes of domestication in English." Textual Practice 7, 2 (1993): 208-223.

قائمة المحتويات